التوحيد

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية ✹ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ✹ العدد ٥٧٤ السنة الثامنة والأربعون - شوال ١٤٤٠ هـ

الثمن ٥ جنيهات

عيد فطر المسلمين بين الربح والخسران المبين

- أثر سلوكيات الأراذل في اندثار كثير من الفضائل
- بعض أحكام كفارة الجماع في نهار رمضان
- الثبات على العبادة بعد رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

هذا عيدنا

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا أهل الإسلام؛ عيدنا هذا يأتي بعد الصيام، والقيام، والصدقة، وقراءة القرآن، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

ويأتي عيدنا هذا بعد إكمال عدة الشهر، فلنعلن التكبير شكرًا لله عز وجل، مصداقًا لقوله: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة: ١٨٥)، ونفرح بعيدنا، قال تعالى: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» (يونس: ٥٨).

وأسرة تحرير مجلة التوحيد، وجمعية أنصار السنة المحمدية، تهنئ جموع الأمة في مصر والعالم بعيد الفطر المبارك، أعاده الله علينا باليمن والخير والبركات.

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: عيد فطر المسلمين بين الربح والخسران المبين ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
باب الاقتصاد الإسلام: د. حسين حسين شحاتة ١٢
باب الفتاوى ١٥
صدقة الفطر طاعة واتباع: أحمد عز الدين ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
من روائع الماضي: الشيخ زكريا حسيني محمد ٢٦
باب الفقه: د. حمدي طه ٢٩
منبر الحرمين: الثبات على العبادة بعد رمضان:
د. عبد الله بن عبد الرحمن ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
مهارات واجبة للدعاة: د. ياسر لمعي ٤١
الحور بعد الكور: د. عماد عيسى ٤٤
الغاية العلية من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم:
عبده أحمد الأقرع ٤٧
باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن: ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
وقفات مع غزوة أُحد: عبد الرزاق السيد عيد ٦١
أحكام سجدة تلاوة القرآن: محمد عبد العزيز ٦٤
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٦٧
أثر سلوكيات الأراذل في اندثار كثير من الفضائل:
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٧٠

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٢٥ جنيهاً توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٥ جنيهات ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

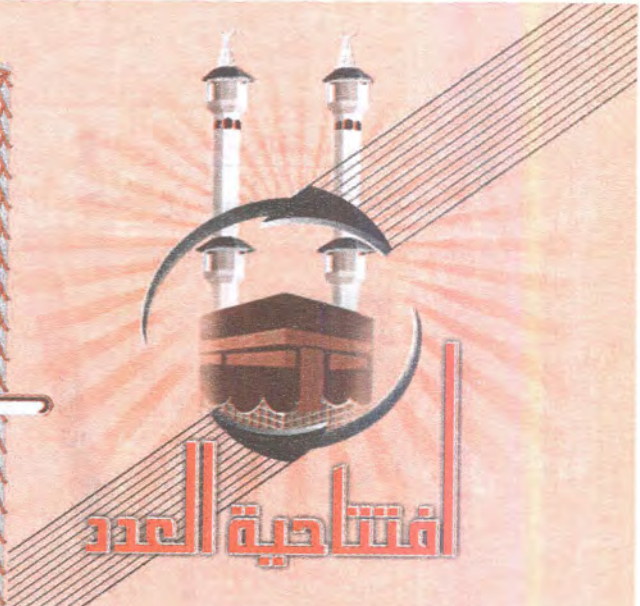

المؤمنون ومسؤولية أداء الأمانة

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن الأمانة خُلق رفيع من أخلاق الإسلام ومسؤولية عظيمة حملها الإنسان.

ومادة «أمنَ» في اللغة بمعنى: الأمان والأمانة، والأمن ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة. (انظر: لسان العرب ج١٣ص٢١).

وعرَّفها العلماء في الاصطلاح بتعريفات كثيرة منها: «خُلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس». (الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١/٦٤٦).

وخُلق الأمانة من أبرز أخلاق الأنبياء والمرسلين، فأول رسول أرسله الله إلى الأرض أخبر قومه بأنه أمين، كما جاء في قول الله تعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» (الشعراء:١٠٥-١٠٧)، ومثله قال هود، وصالح، ولوط، وشعيب، وقد ذكر الله ذلك في نفس السورة، ويأتي نبينا صلى الله عليه وسلم في مقدمة الأمناء.

قال القاضي عياض رحمه الله: «وأما عدله صلى الله عليه وسلم، وأمانته وعفته وصدق لهجته، فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وأصدقهم لهجة منذ كان، اعترف له بذلك محادّوه، وكان يسمى قبل نبوته «الأمين»».

قال ابن إسحاق: كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الفاضلة، وقال تعالى: «مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» (التكوير:٢١). أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم، ولما اختلفت قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكّموا أول داخل عليهم؛ فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل، وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذا محمد،

هذا الأمين قد رضينا به». (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١/١٣٩).

وقد أمر الله عموم المؤمنين بأداء الأمانات والقيام بها. قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا» (النساء:٥٨)، ويلاحظ أن الأمانة في الآية وردت بصيغة الجمع مما يدل على أنها أمانات متعددة، وقد أشار إلى بعضها الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله: «يخبر تعالى أنه أمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». (رواه الإمام أحمد، وأهل السنن).

وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلوات والزكوات، والصيام والكفارات والنذور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، ولا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ ذلك منه يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها، حتى يُقتص للشاة الجمَّاء من القَرناء». (تفسير ابن كثير ١/٧٠٨).

ويظهر من كلام الإمام ابن كثير رحمه الله أن الأمانات التي يجب أن تؤدى ليست هي الودائع وحدها، وإنما هي صور عديدة: مادية وأدبية، ومن الأمانات الواجب أداؤها أمانة تعليم الناس العلم، فالذي يتعلم علمًا قد أودع أمانة، وعليه أن يتحمل مسؤولية تعليم الناس وارشادهم، وقد أخذ الله العهد على العلماء بعدم كتمان العلم، كما قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» (آل عمران:١٨٧)، ولذلك عُدَّ علماء أهل الكتاب خائنين؛ لكتمانهم صفات النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة والإنجيل، وعلى العلماء معرفة الوسائل الصحيحة التي يؤدون بها العلم، دون إفراط أو تفريط، وعليهم أن يدركوا قيمة الكلمة التي ينطقون بها، فيتحرون الحق وينفعون الخلق، ويكونون قدوة صالحة في العلم والعمل بين الناس.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: «طالب العلم الشرعي عليه مسؤولية كبيرة؛ لأنه واسطة بين الخلق وبين الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ إنه ينقل شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته، ولهذا يجب أن يكون أسوة حسنة في عباداته وأخلاقه ومعاملاته؛ لأنه إذا كان أسوة في ذلك فقد أثمر العلم في حقه ثمراته الجليلة». (تفسير سورة غافر ص٩).

ومن الأمانة: حفظ الجوارح عن الوقوع فيما حرَّم الله، ومن أعظم الجوارح التي يجب العناية بها اللسان والفرج. قال الله تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» (الإسراء:٣٦). وقد عقد الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه بابًا قال: «باب حفظ اللسان، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». ثم ساق بسنده حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن يضمن لي ما بين لَحْييه وما بين رجليه أضمن له الجنة». (البخاري: ٦٤٧٢).

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: «من يضمن من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى: من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام». (فتح الباري ١١/٣٠٩).

ومن الأمانة حفظ العهد، وهي من أخص صفات أهل الإيمان الوارثين للفردوس المذكورين في أوائل سورة المؤمنون، قال

تعالى: « وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ » (المؤمنون:٨).

ومن الأمانة: العدل والحكم بين الناس به، وقد أفردته الآية بالذكر لأهمية العناية به، قال تعالى بعد أمره بأداء الأمانة: « وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا » (النساء:٥٨)، وختام الآية بذكر الاسمين الجليلين لله تعالى السميع، البصير، يثير في المؤمن الانتباه إلى أن الله تعالى شهيد ومطلع على أقواله وأفعاله، فيسمع ما يقول ويرى ما يفعل.

ولشأن الأمانة ومسؤوليتها العظيمة أشفقت بعض المخلوقات الكبيرة من حملها وحملها الإنسان كما قال تعالى: « إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » (الأحزاب:٧٢)، قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه أن الله عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها». ثم ساق عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ما يؤيد ذلك. (انظر تفسيره ٣٨/٢٢).

وللقاسمي رحمه الله ملحظ لغوي بليغ حول هذه الآية يقول فيه: وفي ختم السورة بهذه الآية من البدائع ما يسميه علماء البديع (ردُّ العجز على الصدر) ذلك لأن طليعة هذه السورة كانت في ذم المنافقين وقص مخازيهم ونواياهم السيئة، ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة الأحزاب، فلما خانوا أماناتهم بالفرار والتعويق لإخوانهم والتثبيط لهم، وما كان من شنائعهم في تلك الغزوة، بيَّن الله تعالى في خاتمة السورة شأن الأمانة، وعظم خطرها، وأنها عند الله بمكان عظيم، وذلك لأن من أعطى من نفسه موثقًا عاهد الله عليه، فاطمأنت به النفوس ووثقت به وركنت إليه وأدرجته في عداد من يشد أزرها، فإذا هو غادر خائن كاذب متلاعب، يتخذ عهود الله هزوًا ولعبًا، فيخذل من وثق به، ويمالئ العدو عليه ويثبط من يرجى منه نوع معونة، ويوقع الأراجيف ليوهي العزائم ويضعف الهمم، فتكثر القالة وترتبك العامة فما أسوأ ما يأتي به، وما أفظع ما ارتكب وما أعظم جريمته. (تفسير القاسمي: ٤٩٢٨/١٣).

وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي توجيه كريم حول هذه الآية يقول فيه: «والظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الضمير في قوله: «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً» (الأحزاب: ٧٢) راجع للفظ الإنسان مجرداً عن إرادة المذكور منه الذي هو آدم. والمعنى: أنه أي الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة كان ظلوماً جهولاً: أي كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا أمران: أحدهما: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذب ومرحوم في قوله تعالى بعده متصلاً به: « لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا » (الأحزاب: ٧٣)، فدل هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان، هو المعذب والعياذ بالله، وهم المنافقون، والمنافقات، والمشركون، والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات.

واللام في قوله: ليعذب: لام التعليل وهي متعلقة بقوله: وحملها الإنسان.

الأمر الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرد اللفظ دون اعتبار المعنى التفصيلي معروف في اللغة التي نزل بها القرآن، وقد جاء فعلاً في آية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: «وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ» (فاطر: ١١)، لأن الضمير في قَوله: «ولا يُنقص من عمره»: راجع إلى لفظ المعمر دون معناه التفصيلي». (أضواء البيان: ٦٠٦/٦).

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى.

كلمة التحرير

عيد فطر المسلمين.. بين الربح والخسران المبين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله وفَّق من شاء من عباده للصيام والقيام، فأثابهم بالمغفرة والإحسان، وامتن عليهم بالقبول والعتق من النيران، وبعدُ:

ها هو رمضان يوشك على الرحيل، يُعلن فينا أن كل شيء إلى فوات، وكل جمع إلى شتات، وكل حي إلى موات، وأن الله عز وجل يَجْمعُ الناس ليوم لا ريب فيه، يوشك رمضان على الرحيل وقد ربح من ربح، وخسر من خسر، يوشك على الانتهاء، فمن كان يعبدُ رمضان، فإنَّ رمضان يوشكُ على الانتهاء، ومَن كانَ يعبدُ الله، فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يموت، يا من بلغتم رمضانَ، هل أدَّيتُم حقَّه؟ هل صُمْتُم إيمانًا واحتسابًا؟ هل عِشْتُم ليلَةَ القَدْر كما يحب ربنا ويرضى، يوشك أن يستقبل المسلمون عيدهم مكافأة للمسلمين الصائمين العابدين، فهو عيد أهل الإسلام، وهو يوم الفرح بأداء الصيام، ولنتذكر في عيدنا إخوة لنا تسلطت عليهم قوى الشر والطغيان وأخرجتهم من ديارهم، وسلبتهم أمنهم وراحتهم فهم بين قتل وتشريد، وطردٍ وأسرٍ، فرَّج الله تعالى كربهم، وخذل أعداءهم، فالأمة تُنتهك من أعدائها، وتُحاك من حولهم الفتن والمؤامرات، ولنُتْبِع رمضان بصيام ستٍّ من شوال، فإن من صامها كان كمن صام الدهر كله. أعاده الله علينا وعليكم باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، وتقبل الله منا ومنكم ومن المسلمين صالح الأعمال.

الاستمرار على الطاعة بعد رمضان

الحمد لله الذي وفقنا لإدراك رمضان، فاستقم على أمر الله وعلى طاعته في رمضان وبعد رمضان، فالعبد عند قدومه على ربه وقت الاحتضار يُحيطه البعيد والقريب، الحبيبُ والطبيب، الأخ والصديق، ولكن هل يستطيعُ أحدٌ أن يضيفَ إلى عُمره شيئًا؟ أو أن يزيدَ من رِزْقه شيئًا؟ أو أن يعيدَ رُوحَه التي سُلِبَتْ؟ كلاً؛ يقول الله عز وجل: «فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (الواقعة: ٨٣- ٨٧).

في وقت الاحْتضار يحتاجُ المحتضَرُ إلى مَن يثبِّته عند السؤال، ويبشِّرهُ بما هو آت، «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ» (فصلت: ٣٠- ٣٢). بل إنَّ الملائكةَ لتأخذ العبدَ المستقيم على أمرِ الله من يَديْه وتُدْخِله الجنة، وتُهَنِّئه بالفوز بالجنَّة والنجاة من النار؛ «وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ» (الرعد: ٢٣، ٢٤).

فما أجمل العبادةَ! وما ألذَّ المداومة على الطاعة! فمَن جرَّب لذَّة الطاعة هل يعود إلى مَرارة العِصْيان؟! تنتهي آلام العبادة ويَبْقى عند الله أجْرُها، وتنتهي لذَّةُ المعْصية ويبقى عند الله وِزْرُها، فهل نعود إلى الضلال بعد الهُدى؟ وإلى الظلام بعد النور؟ بل علينا المداومة على طاعة الرحمن.

يوشك رمضان على الانتهاء، ونحن على أبواب استقبال عيد الفائزين، وقد ضَرَبَ الله مثلاً في القرآن لامرأة حمقاء كانت في مكان بين مكة والطائف، كانت تغزل الصوف، وكان معها فريق عمل من النساء والفتيات، كنَّ يغزلن معها، وكانت تصنع شيئًا من الصوف عجيبًا وجميلاً، كانت تغزل حتى إذا انتصف النهار فكَّت ما غزلته، ونقضت ما صنعته، أعادته كما كان، وكأن شيء لم يكن، (وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (النحل٩٢).

نوشك على استقبال عيد فطر المسلمين، والذي كان يتلو القرآن ثم يهجره بعد رمضان، فقد نَقَضَ غزله، والذي وَصَلَ رحمه ثم قطعه بعد رمضان، فقد نقض غزله، هذه الوجوه التي سجدت لله في رمضان يجب ألاَّ تتجه لغير الله بعد رمضان، هذه العيون التي بكت من خشية الله في رمضان يجب ألاَّ تنظر إلى الحرام بعد رمضان، لا تتتبع النظرات الخائنة، وإنما تنظر إلي عجيب صنع الله، هذه البطون التي صامت عن الحلال في رمضان، يجب ألا تقترف الحرام بعد رمضان، هذه الأقدام التي سعت إلي بيوت الله في رمضان يجب ألا تسعي في الفساد والإفساد في الأرض بعد انقضاء رمضان، هذه اليد التي كانت ممرًّا لعطاء الله، تُنفق وتُعطي في رمضان، يجب ألاَّ تبطش وتسرق وتختلس، بعد رمضان.

القلب المعمور لا يخرج منه إلا ما ينفع الناس

يوشك رمضان على الانتهاء، وهو يعلمنا أن القلب المعمور بالإيمان، المنساق إلي الحق، المنطلق إلي الصواب، لا يخرج منه إلا ما ينفع

البلاد والعباد، لا يخرج منه إلا ما يُعَبِّدُ الطريق إلى الله، لا يخرج منه إلا ما يرعى العهود، الذين يتعاونون في رمضان على البر والتقوى، يجمعون الزكوات، ويوزعونها علي الفقراء والمساكين، يقيمون تكافلاً لأفراد المجتمع غير القادرين، فيمثلون حلقة الوصل بين الأغنياء والفقراء، إنهم يبغون الأجر من الله، يعتزون بإسلامهم، ويفرحون بطاعة ربهم، فيرفع الله أعمالهم، ويَصْعَدُ إلى الله كلمهم، (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ) (فاطر١٠).

ونبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرورٌ تُدْخله على قلبِ مسلم، تكشف عنه كربة، أو تطرُد عنه جوعًا، أو تقْضي عنه دَيْنًا». (الطبراني في الكبير: ٦٠٢٦، وحسنه الألباني).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن نفَّس عن مُؤْمنٍ كُرْبة من كُرَب الدنيا، نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامة، ومَن سَتَرَ مسلمًا، ستَره الله في الدنيا والآخرة، ومَن يَسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه، ومَن سَلَكَ طريقًا يلتمسُ فيه علْمًا، سَهَّلَ الله له به طريقًا إلى الجنَّة، وما اجْتمعَ قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلاَّ حفَّتهم الملائكة، ونزلتْ عليهم السكِينة، وغشيتهم الرحمة، وذكَرَهم الله فيمن عنده، ومن أبْطأ به عملُه، لم يُسْرِعْ به نَسَبُه». (رواه مسلم).

نستقبل عيد الفطر بين الخوف والرجاء

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد، نستقبل عيد الفطر وهنيئًا للمؤمنين بإيمانهم، وهنيئًا للصائمين بصيامهم، وهنيئًا للقائمين بقيامهم، وهنيئًا للمحسنين بإحسانهم، يستقبلون عيدهم وهم بين الخوف والرجاء، فالخوف ممن فرحوا في رمضان وأضاعوه في القيل والقال، ومشاهدة الزور والبهتان، ولم يصونوا الصيام، ولم يحسنوا القيام، ولم يمسكوا اللسان، ولم يحفظوا الأسماع والأبصار عن الحرام، فخسارتهم في رمضان أعظم من ربحهم، اللهم فاهدهم صراطك المستقيم، وحبِّب إليهم طاعتك وخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى.

ورجاء القبول وخوف الرد « وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ » (المؤمنون: ٦٠، ٦١)، اللهم فاقبل منا ومن المسلمين الصيام والقيام وسائر الأعمال، وبارك لنا فيها وزدنا من طاعتك، واصرفنا عن معصيتك، فإن قلوبنا بيدك تقلبها كيف تشاء.

فلنداوم على العمل الصالح بعد رمضان، فإن الله سبحانه وتعالى يجب أن يُعْبَدُ في كل الأزمان والأحوال، وبئس قوم لا يعرفون الله تعالى إلاَّ في رمضان.

وما نشاهده من قوة الإسلام وانتشاره رغم ضعف المسلمين وتفرقهم لدليلٌ على أنه الحق، وما نشاهده من كثرة الداخلين في الإسلام رغم حملات التشويه القوية ضد الإسلام دليل على أنه حق؛ ولذا قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: « فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (الزخرف: ٤٣) وفي آية أخرى: « فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ » (النمل: ٧٩)، ولا يُزعزع في

حملات التشكيك والتشويه إلاَّ ضعاف الإيمان، ولا يبيع إيمانه فيها إلا أهل الدنيا، وأما أهل الله تعالى وطلاب آخرته فلا تزيدهم حملات الأعداء إلاَّ رسوخًا في الحق، وثباتًا على الإيمان، وقوة في اليقين «لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ» (يونس: ٩٤- ٩٥)، ولا تزيدهم الفتن والمحن إلا صلابة في الحق، وقوة في الدعوة إليه، وعزمًا على دحض الباطل به.

العيدُ وأوجاع الأمة وآلامها

نستقبل عيد الفطر المبارك بعد رحيل رمضان الذي يجمع أوراقه، وفي العيد لدى المخبتين تختلط الأفراح بالأحزان، يفرحون بإدراك رمضان وإتمام الصيام والقيام، يكبرون الله ويشكرونه، لكن الحزن يأخذ من قلوبهم مأخذًا كبيرًا، وينهمل الدمع من عيونهم أسىً على رمضان، إنه لو كان في مكان آخر لشدوا إليه الرحال، لكن رحمة الله وسعت كل شيء، فيأتيهم وهم في دورهم آمنين مستقرين، لقد كانوا أيام وليالي رمضان يعيشون في نعيم الذكر والدعاء والقرآن، يتقلبون في رياض الطاعات والعبادات، «كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ» (الذاريات: ١٧-١٩)، وعلموا أن لهم ربًا ينزل في ثلث الليل الآخر ويخاطب عباده فاستعدوا لذلك النزول، قال ربهم: «من يستغفرني فاغفر له»، فإذا هم المستغفرون، قال ربهم: «من يدعوني فاستجب له»، فإذا هم الداعون، قال ربهم: من يسألني فأعطيه؟ فإذا هم السائلون، استغفروه تعالى غفر لهم وسألوه فأعطاهم، ودعوه فاستجاب لهم، فهنيئًا لهم وتلك بشراهم، دخلوا جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، أولئك الذين عرفوا رمضان، وصرفوا أوقاتهم في عبادة الله تعالى، ومع ذلك يرون أن أعمالهم بجانب حق الله تعالى ونعمه قليلة: «يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ» (المؤمنون: ٦٠).

نستقبل عيد الفطر هدية الصائمين، فرصة لتدارس أحوال الأمة، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وإن الأمة لن تحيى إلا بالإسلام، ولن يُكتبُ لها عزّ إلا به، الإسلام الذي من تحاكم إليه في أهله وماله في مجتمعه وتوجيهاته، كان له النصر الكبير والفتح المبين.

والمتأمل في حال الأمة اليوم، وما وصلت إليه من القهر والذل قد يتطرق اليأس إلى نفسه، ولكن لا تيأسوا ولا تحزنوا؛ فإن الظلم والباطل وإن تسلط فإن تسلطه محدود بقدر من الله؛ لأن الله جعل لكل شيء نهاية، ودين الله هو الغالب، «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣٣).

نستقبل عيد الفطر المبارك وقد وعد الله سبحانه بالنصر والتمكين لمن ينصر دينه ويعلي كلمته، وهو القائل: «إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا» (الأنفال: ٧٠).

اللهم رب الأرباب، رُدَّ كيد أعدائك في نحورهم، واجعل الدائرة تدور عليهم، وقوِّ شوكة المسلمين على أعدائهم المسلمين يا رب العالمين.

اللهم تقبل منا رمضان، واكتب لنا فيه العتق من النيران، واجعل عيدنا مباركًا على أمة الإسلام يا رب العالمين، تقبل الله منا ومنكم ووفقنا إلى ما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة الرابعة

قال تعالى: (وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ④ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ⑤ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ⑥ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ⑦ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) **(الفتح: ٤-٨).**

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

«وَلِلَّه جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» (المدثر: ٣١)، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَ أَحَدَ جُنُودِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ صَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَأَبَادَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ، لَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عز وجل: «وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ» (محمد: ٤)، أي وَلَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ وَالْقِتَالَ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّامِغَةِ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا». (تفسير القرآن العظيم: ٤/١٨٤).

جَزاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ فَاعِلٌ بِالْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: «لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» أَيْ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، «وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أَيْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبَهُمْ فَلَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَيَرْحَمُ وَيَشْكُرُ، «وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا» كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: «فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» (آل عمران: ١٨٥).

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَدَّمَ إِدْخَالَهُمُ الْجَنَّاتِ عَلَى تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّاتِ إِلَّا بَعْدَ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدَّمَ الْأَفْضَلَ وَالْأَعْظَمَ، أَوْ أَنَّ الْوَاوَ تُفِيدُ التَّرْتِيبَ فِي الذِّكْرِ لَا فِي الْوَاقِعِ.

ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ مِمَّا وَعَدَ بِهِ صَالِحِي عِبَادِهِ ذَكَرَ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: «وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَيُعَذِّبَ» مَعْطُوفٌ عَلَى «لِيُدْخِلَ»، أَيْ: يُعَذِّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ بِسَبَبِ مَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ ظُهُورِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَقَهْرِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ، وَبِمَا يُصَابُونَ بِهِ مِنَ الْقَهْرِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ.

وَفِي تَقْدِيمِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ عَذَابًا، وَأَحَقُّ مِنْهُمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ، لِأَنَّهُمْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ، فَكَانَ خَطَرُهُمْ عَظِيمًا وَضَرَرُهُمْ جَسِيمًا، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: « هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ » (المنافقون: ٤)، وَأَكْثَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ ذِكْرِ خِصَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ حَتَّى يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ.

ثُمَّ وَصَفَ الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ»، وَهُوَ ظَنُّهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُغْلَبُ، وَأَنَّ كَلِمَةَ الْكُفْرِ تَعْلُو كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ.

وَمِمَّا ظَنُّوهُ مَا حَكَاهُ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: « بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا » (الفتح: ١٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ» أَيْ: مَا يَظُنُّونَهُ وَيَتَرَبَّصُونَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ، حَائِقٌ بِهِمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْعَذَابَ وَالْهَلَاكَ الَّذِي يَتَوَقَّعُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَاقِعَانِ عَلَيْهِمْ، نَازِلَانِ بِهِمْ (فتح القدير للشوكاني ٥٤/٥).

«ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة)، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

«وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»:

قِيلَ فِي سِرِّ التَّكْرِيرِ: إِنَّهُ ذُكِرَ سَابِقًا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لِأَمْرِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، فَلِذَلِكَ ذَيَّلَهُ بِقَوْلِهِ: «عَلِيمًا حَكِيمًا»، وَهُنَا أُرِيدَ بِهِ التَّهْدِيدُ بِأَنَّهُمْ فِي قَبْضَةِ قُدْرَةِ الْمُنْتَقِمِ، فَلِذَا ذَيَّلَهُ بِقَوْلِهِ: «عَزِيزًا حَكِيمًا» فَلَا تَكْرَارَ. وَقِيلَ: إِنَّ الْجُنُودَ جُنُودُ رَحْمَةٍ، وَجُنُودُ عَذَابٍ، وَأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا الثَّانِي، وَلِذَا تَعَرَّضَ لِوَصْفِ الْعِزَّةِ. وَقَالَ الْقَاشَانِي رَحِمَهُ اللهُ: كَرَّرَهَا لِيُفِيدَ تَغْلِيبَ الْجُنُودِ الْأَرْضِيَّةِ عَلَى السَّمَاوِيَّةِ فِي الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، بِعَكْسِ مَا فَعَلَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَبَدَّلَ عَلِيمًا بِقَوْلِهِ عَزِيزًا لِيُفِيدَ مَعْنَى الْقَهْرِ وَالْقَمْعِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْ بَابِ اللُّطْفِ، وَالْعِزَّةَ مِنْ بَابِ الْقَهْرِ. (محاسن التأويل: ٦٨/١٥).

صفات النبي صلى الله عليه وسلم وحقه على الأمة:

«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»:

لَمَّا أُرِيدَ الِانْتِقَالُ مِنَ الْوَعْدِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَمَا اقْتَضَاهُ ذَلِكَ مِمَّا اتَّصَلَ بِهِ ذِكْرُهُ إِلَى تَبْيِينِ مَا جَرَى فِي حَادِثَةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَإِبْلَاغِ كُلِّ ذِي حَظٍّ مِنْ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ نَصِيبَهُ الْمُسْتَحَقَّ ثَنَاءً أَوْ غَيْرَهُ صَدَّرَ ذَلِكَ بِذِكْرِ مُرَادِ اللهِ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالْمُقَدِّمَةِ لِلْقِصَّةِ، وَذَكَرَتْ حِكْمَةَ اللهِ تَعَالَى فِي إِرْسَالِهِ مَا لَهُ مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِالْوَاقِعَةِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهَا، فَذُكِرَتْ أَوْصَافٌ ثَلَاثَةٌ هِيَ: شَاهِدٌ، وَمُبَشِّرٌ، وَنَذِيرٌ. وَقَدَّمَ مِنْهَا وَصْفَ الشَّاهِدِ لِأَنَّهُ يَتَفَرَّعُ عَنْهُ الْوَصْفَانِ بَعْدَهُ. (التحرير والتنوير (١٥٥/٢٦).

فَالشَّاهِدُ: الْمُخْبِرُ عَنْ حُجَّةِ الْمُدَّعِي الْمُحِقِّ وَدَفْعِ دَعْوَى الْمُبْطِلِ، فَالرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم شَاهِدٌ بِصِحَّةِ مَا هُوَ صَحِيحٌ مِنَ الشَّرَائِعِ وَبَقَاءِ مَا هُوَ صَالِحٌ لِلْبَقَاءِ مِنْهَا، وَيَشْهَدُ بِبُطْلَانِ مَا أُلْصِقَ بِهَا وَبِنَسْخِ مَا لَا يَنْبَغِي بَقَاؤُهُ مِنْ أَحْكَامِهَا بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ (التحرير والتنوير (٥٢/٢٢).

قَالَ تَعَالَى: « وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ » (المائدة: ٤٨).

وَهُوَ صلى الله عليه وسلم شَاهِدٌ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُمْ بَلَّغُوا أَقْوَامَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا » (البقرة: ١٤٣).

وَهُوَ صلى الله عليه وسلم شَاهِدٌ

عَلى أُمَّته بمُرَاقبَة جَرْيهمْ عَلى الشَّريعَة فِي حَيَاته، وَشَاهدٌ عَلَيْهمْ فِي عَرَصَاتَ الْقيَامَة، قَالَ تَعَالَى: « وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ » (النحل: ٨٩).

وَلَقَدْ كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُشْفقُ علَى أُمَّته منْ شَهَادَته عَلَيْهم، حَتَّى إنَّهُ بَكَى لمَّا تُليَتْ عَلَيْه آيَة «وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا » (النساء: ٤١):

عَنْ عَبْد الله رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ، قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عليْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزلَ؟! قَالَ إنِّي أَشْتَهي أَنْ أَسْمَعَهُ منْ غَيْري، قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إذَا بَلَغْتُ «وَجئْنَا بكَ عَلَى هَؤُلاء شَهيدًا» قَالَ لي: كُفَّ، أَوْ أَمْسكْ. فَرَأَيْتُ عَيْنَيْه تَذْرفَان». (صحيح البخاري ٥٠٥٥).

قَالَ الْحَافظُ ابْنُ حَجَر رَحمَهُ الله: وَالَّذي يَظْهَرُ أَنَّهُ بَكَى رَحْمَةً لأُمَّته، لأَنَّهُ عَلمَ أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهمْ بعَمَلهم، وَعَمَلُهُمْ قَدْ لا يَكُونُ مُسْتَقيمًا، فَقَدْ يُفْضي إلَى تَعْذيبهم. (فتح الباري: ٩/٩٩).

وَقَدْ رَحمَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم وَخَفَّفَ عَنْهُ منْ قَلَقه عَلَى أُمَّته، وَوَعَدَهُ أَنْ يُنَجِّيَهُمْ أَجْمَعين:

عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص رَضي الله عَنْه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم تَلاَ قَوْلَ الله عز وجل فِي إبْرَاهيمَ «رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثيرًا منَ النَّاس فَمَنْ تَبعَني فَإنَّهُ منِّي» (إبراهيم: ٣٦)، الآيَةَ، وَقَالَ عيسَى عليه السلام «إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عبَادُكَ وَإنْ تَغْفرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أَنْتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ» (المائدة: ١١٨)، فَرَفَعَ يَدَيْه وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي. وَبَكَى. فَقَالَ الله عز وجل: يَا جبْريلُ اذْهَبْ إلَى مُحَمَّد وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكيكَ؟ فَأَتَاهُ جبْريلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جبْريلُ اذْهَبْ إلَى مُحَمَّد فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضيكَ فِي أُمَّتكَ وَلاَ نَسُوءُكَ» صحيح مسلم.

قَالَ النَّوَويُّ رَحمَهُ الله: هَذَا الْحَديثُ مُوَافقٌ لقَوْل الله عز وجل: «وَلَسَوْفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» (الضحى: ٥)، وَهُوَ مُشْتَملٌ عَلَى أَنْوَاعٍ منَ الْفَوَائد:

منْهَا: بَيَانُ كَمَال شَفَقَة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى أُمَّته، وَاعْتنَائه بمَصَالحهمْ وَاهْتمَامه بأَمْرهمْ.

وَمنْهَا: الْبشَارَةُ الْعَظيمَةُ لهَذه الأُمَّة- زَادَهَا الله شَرَفًا- بمَا وَعَدَها الله تَعَالَى بقَوْله: «سَنُرْضيكَ فِي أُمَّتكَ وَلا نَسُوءُكَ». قَالَ صَاحبُ التَّحْرير: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلا نَسُوءُكَ» تَأْكيدٌ للْمَعْنَى، أَيْ لا نُخْزيكَ، لأَنَّ الإرْضَاءَ قَدْ يَحْصُلُ فِي حَقِّ الْبَعْض بالْعَفْو عَنْهُم، وَيُدْخلُ الْبَاقيَ النَّارَ. فَقَالَ تَعَالَى: نُرْضيكَ وَلا نُدْخلُ عَلَيْكَ حُزْنًا، بَلْ نُنَجِّي الْجَميعَ. (شرح النووي ١/١٩١).

وَالْوَصْفُ الثَّاني وَالثَّالثُ منْ أَوْصَافه صلى الله عليه وسلم كَوْنُهُ «مُبَشِّرًا وَنَذيرًا» أَيْ مُبَشِّرًا لمَنْ آمَنَ به وَاتَّبَعَهُ بنَعيم الدُّنْيَا وَالآخرَة، وَنَذيرًا لمَنْ كَفَرَ به وَعَصَاهُ بجَحيم الدُّنْيَا وَالآخرَة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَبَشِّر الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ جَنَّات تَجْري منْ تَحْتهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزقُوا منْهَا منْ ثَمَرَة رزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذي رُزقْنَا منْ قَبْلُ وَأُتُوا به مُتَشَابهًا وَلَهُمْ فيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فيهَا خَالدُونَ» (البقرة: ٢٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَبَشِّر الَّذينَ كَفَرُوا بعَذَاب أَليم» (التوبة: ٢)، وَقَالَ تَعَالَى: «بَشِّر الْمُنَافقينَ بأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَليمًا» (النساء: ١٣٨)، وَالْمُرَادُ بالْبشَارَة فِي حَقِّ الْكَافرينَ وَالْمُنَافقينَ النِّذَارَة، وَإنَّمَا أَتَى بالْبشَارَة تَهَكُّمًا وَسُخْريَةً.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يعتبر نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية من الأنشطة التي تستوعب قدراً كبيراً من الأموال، ويأخذ هذا النشاط أشكالاً متعددة منها: عمليات التشييد والبناء، وعمليات تقسيم الأراضي وبيعها، وعمليات شراء الأراضي أو البناء فوقها وحدات سكنية أو تجارية أو صناعية، وعمليات التجارة في الأراضي والعقارات، والوساطة في تجارة العقارات، وعمليات الاستثمار في العقارات ونحو ذلك.

ولقد اجتهد علماء وفقهاء العصر في بيان التكييف الفقهي لنشاط المقاولات والاستثمارات العقارية على منوال ما تم بشأن النشاط الصناعي، كما ظهرت مشكلات عملية في حساب زكاة بعض الحالات مثل: العقارات الكاسدة، والعقارات المحبوسة للأولاد والذُرِيةْ في المستقبل، والعقارات الموروثة بدون استغلال، والعقارات المستخدمة لأغراض اجتماعية وخيرية.. وهذا يحتاج إلى بيان الأحكام والأسس المحاسبية لحساب زكاتها.

ويختص هذا المقال بعرض الأحكام الفقهية لزكاة نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية، وبيان الأسس المحاسبية لحسابها، وعرض نماذج تطبيقية من الواقع المعاصر لحساب الزكاة عليها.

طبيعة نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية ومدى خضوعه للزكاة

يختص نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية بعمليات البناء والتشييد لإقامة البنايات والطرق والجسور والمرافق.. ونحو ذلك، كما يدخل في نطاقه كذلك عمليات الاستثمار العقاري بكافة صوره المختلفة ومنها على سبيل المثال ما يلي:

- شراء الأراضي وتقسيمها والاتجار فيها.
- شراء الأراضي وتمهيدها والبناء عليها وبيعها.
- الاتجار في الأراضي والعقارات المبنية.
- الوساطة في تجارة الأراضي والعقارات المبنية.
- شراء العقارات وتركها لحين ارتفاع ثمنها ثم بيعها.
- شراء العقارات المبنية لاستخدامها في المستقبل كمسكن للذُرِيةْ.
- الحصول على عقارات كميراث وتركها كما هي لصعوبة التصرف فيها.
- شراء العقارات المبنية وتأجيرها للغير.
- الحصول على عقارات كهبة أو هدية وتركها كما هي لصعوبة التصرف فيها.
- العقارات المخصصة لأغراض اجتماعية وخيرية.

وتخضع الأموال المستثمرة في هذه الأنشطة للزكاة، ومن الأدلة الشرعية لذلك ما يلي:

(١) عموم خضوع الأموال النامية أو القابلة للنماء للزكاة، ويتوافر ذلك في الأموال المستثمرة

في نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية.

(٢) تعتبر هذه الأنشطة من مصادر الكسب الطيب الحلال، الذي يخضع للزكاة وينطبق عليها قول الله تبارك وتعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ » (البقرة: ٢٦٧).

(٣) تدخل هذه الأنشطة إمَّا في مجال الصناعة أو التجارة أو المستغلات أو الاستثمار ويطبق عليها أحكامها.

وتأسيساً على ذلك: تخضع الأموال المستثمرة في نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية للزكاة على النحو الذي سوف نفصله فيما بعد.

أحكام وأسس حساب زكاة نشاط المقاولات والاستثمارات العقارية

لقد سبق أن أوضحنا تعدد وتنوع أنشطة المقاولات والاستثمارات العقارية، ومن ثم يخضع كل نشاط لزكاة معينة، وبيان ذلك على النحو التالي:

(١) نشاط المقاولات العقارية: يُطبق عليه أحكام زكاة النشاط الصناعي.

(٢) نشاط تجارة العقارات: يُطبق عليه أحكام زكاة النشاط التجاري.

(٣) نشاط تأجير العقارات: يُطبق على إيجارها أحكام زكاة المستغلات.

(٤) نشاط شراء العقارات لأجل الذُرية: لا تجب عليها زكاة.

(٥) عقار كان محبوسًا: يُطبق عليه أحكام زكاة المال المستفاد.

(٦) العقار الموروث: إذا كان مسكوناً، فلا تجب عليه زكاة.

(٧) العقار الموقوف: لا تجب عليه زكاة إذا كان مخصصًا لأغراض خيرية.

(٨) عقارات الجمعيات الخيرية: لا تجب عليها زكاة، لأن أغراضها خيرية.

وسوف نتناول فيما يلي أحكام حساب الزكاة على الأنواع التي تجب عليها الزكاة بشيء من التفصيل حسب طبيعة كل نوع والزكاة التي تخضع لها

ونؤكد على أننا سوف نتعرض للمسائل الفقهية بشيء من الإيجاز، ويمكن للقارئ الرجوع إلى الفتاوى الصادرة عن بيت الزكاة الكويتي ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر واللجنة الشرعية لرابطة العالم الإسلامي.

أحكام وحساب زكاة نشاط المقاولات العقارية

يتمثل هذا النشاط في بناء العقارات على اختلاف أنواعها، حيث يتم تحويل الأرض باستخدام الخامات المختلفة ولوازم البناء والعنصر البشرى إلى وحدات سكنية أو إدارية أو تجارية أو صناعية أو خدمية.

ويطبق على هذا النشاط أحكام زكاة الصناعة السابق بيانها تفصيلاً والتي تتلخص في الآتي:

(١) لا تجب الزكاة في الأصول الثابتة المعنوية مثل: حقوق الاستغلال والامتياز والرخص والتصاريح لأنها ليست نامية، ولأنها مقتناه للمعاونة في أداء النشاط الرئيسي وهو التشييد والبناء.

(٢) لا تجب الزكاة في أعيان الأصول الثابتة العينية مثل: الأوناش والماكينات والعدد والأدوات ووسائل النقل والأجهزة وكافة الأشياء والأصول الثابتة التي تساعد في أعمال البناء والتشييد.

(٣) تجب الزكاة في الأعمال تحت التنفيذ (التشغيل) التي بدأ العمل فيها ولم ينته بعد، والتي سوف تباع بعد الانتهاء منها، مثال ذلك: الوحدات والمحلات والمخازن.. وتقوَّم على أساس نصيبها من القيمة السوقية من قيمة الأرض مضافاً إليها الخامات، ولا يدخل في قيمتها المصنعيات.

(٤) تجب الزكاة في الوحدات المبنية التامة القابلة للبيع، وتُقَوَّمْ على أساس القيمة السوقية التي يمكن أن تباع بها وقت حلول الزكاة بصرف النظر عن القيمة المطلوبة أو المراد بيعها بها.

(٥) تجب الزكاة في التشوينات في المواقع، وتقوم على أساس القيمة السوقية-سعر الجملة لها وقت حلول الزكاة، بصرف النظر عن سعر

شرائها.

(٦) تجب الزكاة في خامات التشغيل سواء بالموقع أو في المخازن، وتقوَّم على أساس القيمة السوقية سعر الجملة لها وقت حلول الزكاة.

(٧) لا تجب الزكاة في قطع الغيار الخاصة بالأصول الثابتة، ولكن إذا كانت مخصصة للتجارة، فيجب فيها الزكاة، وتقوم على أساس القيمة السوقية سعر الجملة لها وقت حلول الزكاة.

(٨) تجب الزكاة في الديون على الغير سواء كانت في شكل: عملاء أو مدينين أو عهد أو سلف أو أوراق تجارية أو حسابات جارية مدينة.. وما في حكم ذلك، وتقوَّم على أساس القيمة الجيدة المرجوة التحصيل.

(٩) لا تجب الزكاة في التأمينات لدى الجهات الحكومية ونحوها؛ لأنها في حكم الأموال المجمدة لأجل معين ومرتبطة بتنفيذ شروط واردة بالعقود...، وعند استردادها تزكى مع بقية الأموال النقدية.

(١٠) لا تجب الزكاة في غطاء خطابات الضمان للعمليات، لأنها في حكم الأموال المجمدة لأجل، ومرتبطة بتنفيذ شروط واردة بالعقود، وعند الإفراج عنها تزكى مع بقية الأموال النقدية.

(١١) تجب الزكاة في النقدية لدى البنوك وعوائدها الشرعية، أمَّا حسابات البنوك المجمدة أو المحجوز عليها لا زكاة عليها، وعندما يُفرج عنها تخضع للزكاة في سَنَتِها.

(١٢) تجب الزكاة في النقدية في الخزائن الرئيسية والفرعية ويضاف إليها العهد النقدية طرف العاملين.

(١٣) لاتجب الزكاة في المصروفات الإيرادية المؤجلة، أو مصاريف التأسيس والمصروفات المقدمة وما في حكم ذلك من المصروفات، حيث لا يتوافر فيها شروط النماء ولا يرجى استردادها.

(١٤) يُخْصم الالتزامات (الخصوم) الحالَّة من الأموال التي تجب فيها الزكاة على النحو السابق بيانه في البنود السابقة، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

أ- الدائنون والموردون وأوراق الدفع.

ب- الدفعات المحصلة مقدماً من العملاء لشراء وحدات سكنية.

جـ- الأقساط الحالة المتوقع سدادها في العام المقبل من القروض.

د - المستحقات المقطوعة لمصلحة الضرائب والتأمينات الاجتماعية.

هـ - الحسابات الجارية الدائنة المستحقة للغير.

و- المصروفات المستحقة واجبة الأداء.

ز- المخصصات لمقابلة التزامات مثل: مخصص الغرامات والتعويضات ومخصص الضرائب، ومخصص مكافآت ترك الخدمة.

(١٥) ولا يخصم من الأموال التي تجب فيها الزكاة عناصر حقوق الملكية لأنها لا تعتبر من الالتزامات الحالَّة، ومنها:

أ- رأس المال المدفوع.

ب- الاحتياطيات.

جـ- الأرباح غير الموزعة.

د- أرباح العام الحالي.

(١٦) يحسب وعاء الزكاة بالمعادلة الآتية:

وعاء الزكاة= الأموال الزكوية الالتزامات الحالَّة.

فإذا وصل الوعاء النصاب تحسب الزكاة على أساس ٢,٥٪ سنويًا على أساس السنة القمرية، أو ٢,٥٧٥ ٪ على أساس السنة الشمسية.

(١٧) يدفع المالك الزكاة إذا كانت منشأة فردية، وفي حالة شركات الأشخاص: توزع الزكاة على الشركاء بنسبة حصة كل منهم في رأس المال، وفي حالة شركات المساهمة، تُقْسَم الزكاة على عدد الأسهم لمعرفة نصيب كل سهم، ثم يحسب نصيب كل مساهم من الزكاة بقدر ما يملك من الأسهم.

وللحديث بقية إن شاء الله.

فتاوى

س: كيف أخرج زكاة الفطر؟

- ثبت عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: " فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والحر والعبد من المسلمين، وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة ". متفق على صحته. ويجب على المسلم إخراجها عن نفسه وأهل بيته من أولاده وزوجاته ومماليكه إذا فضلت عن قوته وقوتهم يومه وليلته، أما الخادم المستأجَر فزكاته على نفسه، إلا أن يتبرع بها المستأجِر أو تشترط عليه، أما الخادم المملوك فزكاته على سيده، كما تقدم في الحديث.

والواجب إخراجها من قوت البلد سواء كان تمراً أو شعيراً أو بُرًّا أو ذرة أو غير ذلك، في أصح قولي العلماء؛(مجموع فتاوى ابن باز)، ويستحب إخراجها عن الطفل في بطن أمه لفعل عثمان رضي الله عنه، ولا تجب عليه لانعدام الدليل على ذلك. (فتاوى اللجنة الدائمة- فتوى: ١٤٧٤)

- وقتها: (روى ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " ويجوز إخراجها قبل ذلك بيوم أو يومين لما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر من رمضان..)، وقال في آخره (وكانوا يعطون قبل ذلك بيوم أو يومين). فمن أخرها عن وقتها متعمدًا (صلاة العيد) فقد أثم وعليه أن يتوب من تأخيره، وأن يخرجها للفقراء). (فتاوى اللجنة الدائمة- فتوى:٢٨٩٦).

س: حكم صيام ست من شوال؟

- صيام ست من شوال سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز صيامها متتابعة ومتفرقة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أطلق صيامها ولم يذكر تتابعاً ولا تفريقاً، حيث قال صلى الله عليه وسلم: " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " صحيح مسلم) (مجموع فتاوى ابن باز)

مقدار زكاة الفطر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ». (رواه البخاري: ١٤٣٢، ومسلم: ٩٨٤).

والصاع النبوي يُقدَّر به الكفارات والزكوات، ولذا يلزم أن يعرف المسلم مقدار الصاع النبوي، وقد ذكر أهل العلم للصاع تقديرات متعددة.

والصاع المقصود هو صاعُ أهل المدينة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ضابط ما يُكال بمكيال أهل المدينة، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن على وزن أهل مكة». (أخرجه أبو داود والنسائي).

والصاع مكيالٌ لا يمكن أن يعدل بالوزن؛ لأن الصاع يختلف باختلاف ما يُوضَع فيه، فصاع القمح يختلف وزنه عن صاع الأرز، وهكذا.

علمًا بأن تقديرات أهل العلم في المذاهب الأربعة قد قدرت الصاع من الأرز بالوزن بما يعادل كيلوين وأربعين جرامًا، إلى ثلاث كيلوات وسبعة عشر جرامًا.

وقد قدر بعض أهل العلم الصاع بصاع موروث بسنده عن الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه بمقدار بين هذين التقديرين.

وبناء على ما تقدم فإلى القارئ الكريم بعض التقديرات لبعض الأطعمة:

توزيع الطعام ووزن الصاع منه بالكيلو

م	نوع الطعام	الوزن
١	أرز مصري	٢,٧٣٠
٢	قمح	٢,٨٠٠
٣	دقيق بر	١,٧٦٠
٤	عدس	٢,١١
٥	لوبيا جافة	٣,٠٠
٦	فاصوليا جافة	٣,٠٠
٧	فول	٢,٢٥٠
٨	تمر سكري	٢,٥٠
٩	تمر روثان جاف	١,٦٨٠

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن كان شهر الخيرات قد انقضى فقد بارك الله في العمر وبقي الخير وربه ورب كل شيء، لذا كان من توفيق الله للعبد وبشرى قبول العمل أن يوفق العامل في عمله لله ويستقيم على تقربه من مولاه، ومن ذلك حديث الشهر:

روى الإمام البخاري بسنده عَنْ سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ. قَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ؛ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ».

التخريج من الكتب الستة:

١- صحيح البخاري، أبواب صفة الصلاة باب الذكر بعد الصلاة (٨٤٣).

٢- صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٥٩٥)

وفي سنن أبي داوود: عن أبي هريرة أنه حدثهم: أن أبا ذر قال: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور... فذكره بنحوه إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكبر دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وتسبح ثلاثا وثلاثين، وتحمد ثلاثا وثلاثين، وتختموا بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير). (١٥٠٤).

شرح الحديث:

قوله: (جاء الفقراء):

سُمِيَ منهم.. أبو ذر الغفاري أخرجه أبو داود

من حديث أبي ذر نفسه، وسمي منهم أبو الدرداء عند النسائي وغيره من طرق عنه، ولمسلم من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أنهم قالوا: « يا رسول الله « فذكر الحديث، والظاهر أن أبا هريرة منهم. وفي رواية النسائي عن زيد بن ثابت قال « أمرنا أن نسبح « الحديث كما سيأتي لفظه.

قوله: (الدثور): جمع دثر بفتح ثم سكون هو المال الكثير،...

قوله: (بالدرجات العلى) بضم العين جمع العلياء وهي تأنيث الأعلى، ويحتمل أن تكون حسية، والمراد درجات الجنات، أو معنوية والمراد علو القدر عند الله.

قوله: (والنعيم المقيم) وصفه بالإقامة إشارة إلى ضده وهو النعيم العاجل، فإنه قل ما يصفو، وإن صفا فهو بصدد الزوال.... قوله: (ويصومون كما نصوم) زاد في حديث أبي الدرداء المذكور « ويذكرون كما نذكر »، وللبزار من حديث ابن عمر « صدقوا تصديقنا، وآمنوا إيماننا ».

قوله: (ولهم فضل أموال) كذا للأكثر بالإضافة، وفي رواية الأصيلي «فضل الأموال» وللكشميهني « فضل من أموال ».

قوله: (يحجون بها) أي ولا نحج،....

قوله: (ويتصدقون) عند مسلم من رواية ابن عجلان عن سمي « ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق ».

قوله: (فقال ألا أحدثكم بما إن أخذتم به) في رواية الأصيلي « بأمر إن أخذتم « ... وفي رواية مسلم « أفلا أعلمكم شيئًا « وفي رواية أبي داود فقال يا أبا ذر، ألا أعلمك كلمات تقولهن.

قوله: (أدركتم من سبقكم) أي: من أهل الأموال الذين امتازوا عليكم بالصدقة، والسبقية هنا يحتمل أن تكون معنوية وأن تكون حسية...

قوله: (وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم) بفتح النون وسكون التحتانية،... وعند مسلم من رواية ابن عجلان ولا يكون أحد أفضل منكم...، وكذا قوله إلا من عمل مثل عملكم أي: من الفقراء، أو من الأغنياء فتصدق، أو أن الخطاب للفقراء خاصة لكن يشاركهم الأغنياء في الخيرية المذكورة فيكون كل من الصنفين خيرًا ممن لا يتقرب بذكر ولا صدقة.

قوله: (تسبحون، وتحمدون، وتكبرون) كذا وقع في أكثر الأحاديث تقديم التسبيح على التحميد وتأخير التكبير، وفي رواية ابن عجلان تقديم التكبير على التحميد خاصة، وفيه أيضًا قول أبي صالح يقول: الله أكبر وسبحان الله، والحمد لله، ومثله لأبي داود من حديث أم الحكم، وله من حديث أبي هريرة تكبر، وتحمد، وتسبح، وكذا في حديث ابن عمر.

يقول الحافظ ابن حجر: وهذا الاختلاف دالّ على أن لا ترتيب فيها، ويستأنس لذلك بقوله في حديث الباقيات الصالحات: «لا يضرك بأيهن بدأت»، لكن يمكن أن يقال: الأولى البداءة بالتسبيح لأنه يتضمن نفي النقائض عن الباري- سبحانه وتعالى-، ثم التحميد لأنه يتضمن إثبات الكمال له، إذ لا يلزم من نفي النقائض إثبات الكمال، ثم التكبير إذ لا يلزم من نفي النقائض واثبات الكمال أن يكون هنا كبير آخر، ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده- سبحانه وتعالى- بجميع ذلك.

قوله: (خلف كل صلاة): أي: أن الذكر المذكور يقال عند الفراغ من الصلاة، فلو تأخر ذلك عن الفراغ فإن كان يسيرًا بحيث لا يعد معرضًا أو كان ناسيًا أو متشاغلاً بما ورد أيضًا بعد الصلاة كآية الكرسي فلا يضر، وظاهر قوله « كل صلاة « يشمل الفرض والنفل، لكن حمله أكثر العلماء على الفرض، قال في الفتح: وقد وقع في حديث كعب بن عجرة عند مسلم التقييد بالمكتوبة، وكأنهم حملوا المطلقات عليها، وعلى هذا هل يكون التشاغل بعد المكتوبة بالراتبة بعدها فاصلاً بين المكتوبة والذكر أو لا؟ محل النظر، والله أعلم.

قوله: (ثلاثًا وثلاثين):

قلت: يحتمل أن يكون المجموع للجميع ويحتمل أن يكون كل ذكر ثلاثا وثلاثين وهو اختيار الحافظ؛ قال في الفتح: «والأظهر أن المراد

أن المجموع لكل فرد فرد، فعلى هذا ففيه تنازع أفعال في ظرف ومصدر، والتقدير تسبحون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين وتحمدون وتكبرون كذلك».

قلت: وسيأتي الإشارة اليها تفصيلاً في استكمال الشرح إن شاء الله.

قوله: (حتى يكون منهن كلهن) بكسر اللام تأكيدًا للضمير المجرور.

قوله: (ثلاث وثلاثون) بالرفع وهو اسم كان، وفي رواية كريمة والأصيلي « ثلاثًا وثلاثين »، وتوجه بأن اسم كان محذوف والتقدير حتى يكون العدد منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين، وفي قوله «منهن كلهن » الاحتمال المتقدم: هل العدد للجميع أو المجموع، وفي رواية ابن عجلان ظاهرها أن العدد للجميع لكن يقول ذلك مجموعًا، وهذا اختيار أبي صالح، لكن الرواية الثابتة عن غيره الإفراد، قال عياض: وهو أولى، ورجح بعضهم الجمع للإتيان فيه بواو العطف والذي يظهر أن كلاً من الأمرين حسن، إلا أن الإفراد يتميز بأمر آخر، وهو أن الذاكر يحتاج إلى العدد، وله على كل حركة لذلك- سواء كان بأصابعه أو بغيرها- ثواب لا يحصل لصاحب الجمع منه إلا الثلث. (ينظر: فتح الباري (٢/٣٨١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٢٠ وما بعدها).

مما يستفاد من الحديث إجمالاً:

أولا: الْمُسَابقَة إِلَى الْأَعْمَال المحصلة للدرجات الْعَالِيَة لمبادرة الْأَغْنِيَاء إِلَى الْعَمَل بِمَا بَلغهُمْ، وَلم يُنكر عَلَيْهِم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

ثانيا: فضل الذكر عامة عقيب الصَّلَوَات؛ لأَنَّهَا أَوْقَات فاضلة ترتجي فِيهَا إِجَابَة الدُّعَاء. قَال الحافظ ابن رجب: وقد دَّل الحديث على فضل التسبيح والتحميد والتكبير خلف كل صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين. وفضل الذكر.

ثالثا: أن الْعَمَل الْقَاصِر قد يُسَاوِي الْمُتَعَدِّي، خلافًا لمن قَالَ: إِن الْمُتَعَدِّي أفضل مُطلقًا قلت: وَممَّا يُؤَيّدهُ أَن الثَّوَاب الَّذِي يُعْطِيه الله تَعَالَى لَا يَسْتَحقّهُ الْإِنْسَان بِحَسب الْأَذْكَار، وَلَا بِحَسب إِعْطَاء الْأَمْوَال، إِنَّمَا هُوَ «فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ » (الْمَائِدَة: ٥٤، الْحَدِيد: ٢١، وَالْجُمُعَة: ٤).

رابعًا: يُفهم مِنْهُ أنه لَا بَأْس أن يغبط الرجل الرجل على مَا يَفْعَله من أعمال الْبر، وَأنه يتَمَنَّى أن لَو فعل مثل مَا فعله، ويتسبب فِي تَحْصِيله لذَلِك أو لما يقوم مقَامه من أعمال الْبر، وَقد قَالَ صلى الله عَلَيْه وَسلم في الحَدِيث الصَّحِيح: (لَا حسد إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ.)

خامسًا: حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعْل الخير، وتنافسهم في ذلك. والْحُزْن على فَوات مَوَاسِم الخيرات، وعلى فوات الطَّاعات.

قال ابن رجب: فكَان الفقراء يَحزَنُونَ على فواتِ الصَّدقة بالأموال التي يَقدِرُ عليها الأغنياء، ويَحْزَنُون على التخلُّف عن الخروج في الجهاد؛ لِعَدَمِ القُدْرَة على آلته. اه.

سادسًا: التَّنَافُس في أمور الآخرة، هو التنافس المحمود، بخلاف التنافس على الدنيا، فإنه سبب الهلاك، وفي الحديث: « أخشى عليكم أن تُبْسَط عليكم الدنيا كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فَتَنَافَسُوها كما تَنَافَسُوها، وتهلككم كما أهلكتهم « . رواه البخاري ومسلم.

سابعًا: النَّظر في أمور الدِّين إلى من هو أعلى، والنَّظر في أمور الدنيا إلى من هو أقلّ.

كما روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ -قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ- عَلَيْكُمْ».

لأَنَّ النَّظر في أمور الدِّين إلى من هو أعلى يَحْمِل صاحبه على عُلو الهمّة والتنافس في الخيرات، والنظر إلى من هو أقلّ في أمور الدنيا يَحمِل الإنسان على شُكْر النِّعْمَة. ويُنْظَر شرحه في « جامع العلوم والْحِكَم « لابن رجب. (ينظر: شرح أحاديث عمدة الأحكام شرح الحديث ١٣٣ لعبد الرحمن بن عبدالله السحيم، وينظر شرح الحديث في جامع العلوم والحكم ص لابن رجب (ص٢٢٠ وما بعدها).

وللحديث صلة إن شاء الله.

صدقة الفطر عبادة واتباع

إعداد **أحمد عز الدين**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن صدقة الفطر فريضة فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة». (متفق عليه).

ويجب أن يخرجها الإنسان عن نفسه وعمن تلزمه مؤنته.

والحكمة منها: الإحسان إلى الفقراء، وكفُّ لهم عن السؤال أيام العيد؛ ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم، وفيها تطهير للصائم مما يحصل له في صيامه من نقص ولغو وإثم، ومنها أيضًا إظهار شكر نعمة الله بإتمام شهر رمضان وقيامه وفعل ما تيسير من الصالحات.

وجنس الواجب فيها هو طعام طيِّب من تمر أو زبيب أو بُر، أو أقط، أو شعير، وممن يقوم مقامه كالأرز والذرة والعدس والفول والفاصوليا وغير ذلك، مما هو معروف أنه قوت.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نُخْرِج يوم الفطر صاعًا من طعام». وقال: «وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر». رواه البخاري.

ولا يجزئ إخراج قيمة الطعام نقودًا.. لماذا؟ الجواب في الآتي:

١-لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- أنه عمل مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ إنهم كانوا يخرجونها صاعًا من طعام.

٣- زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين، كما لا يجزئ إخراجها في غير الوقت المعين.

٤- أنه صلى الله عليه وسلم عينها من أجناس مختلفة وقيمها مختلفة غالبًا، فلو كانت القيمة معتبرة هنا لكان الواجب صاعًا من جنس، وما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى.

٥- إخراج القيمة: يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية، فإن إخراجها صاعًا من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كيلها وتوزيعها يتبادلونها بينهم، بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ. (وهذا قول الشيخ ابن عثيمين في مجالسه).

٦- إن زكاة الفطر عبادة ومدار العبادة على الاتباع، فلا يصح أن يُترَك اتباع السنة لقول آخر.

٧- القول بأن إخراج القيمة مصلحة للفقير فهو اجتهاد مع النص، ولو أرادوا مصلحة الفقير فعلاً لابتغوا السنة.

ففي فرض زكاة الفطر طعامًا من أجناس مختلفة حكمة عظيمة من الشارع؛ لأن ذلك يناسب الجميع، فكلٌّ يخرج حسب استطاعته وقدرته، وهذا عين مصلحة الفقير.

٨- لو كان في القيمة مصلحة للفقير لبيَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أخَّر البيان عن وقت الحاجة، ودوافع إخراج صدقة الفطر قيمة كانت موجودة، حيث كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أشد فقرًا منا.

٩- يقولون بأن الفقير يأخذ الحبوب ويبيعها بنقود، فهذا ليس مبررًا لإخراج القيمة، وليس كل الفقراء يفعلون هذا، فكل الفقراء والمساكين بحاجة إلى القوت والطعام، فهي طُعمة لهم.

١٠- وهناك من يزعم بعدم وجود النقود في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنه لم يقرأ القرآن، فمنذ قديم الزمان والناس يتعاملون بالدرهم والدينار، قال الله تعالى: « وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ» (يوسف:٢٠).

فكن على علم أخي رحمك أن كثيرًا من الأئمة رحمهم الله، وغيرهم كثير قالوا بعدم جواز إخراج القيمة، وأنها لا تجزئ واجتهاد الإمام أبي حنيفة رحمه الله بجواز إخراج القيمة ليس معنى هذا أنه عدَل عن السنة كما يظنه الكثير من الناس، ولكنه قال بالسنة أولاً ثم جوَّز القيمة؛ لتعذر الحصول على الحبوب، أو ضاق به الوقت، أو أجبره السلطان على إخراج القيمة، أو نحو ذلك، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» (الحجرات:١)، فكيف نَدَع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول غيره، أليس هذا تقديمًا بين يديه صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٨١)

٧٥٧- «زينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٨٨/٢) عن أنس مرفوعًا، وعلته علي بن الحسن، قال أبو نعيم: «غريب لم نكتبه إلا من حديث علي بن الحسن، وهو الشامي نزيل مصر، تفرد به وبغيره عن الثوري». اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢٤٤/٤) (٥٧٧٠/١٤١٩): «علي بن الحسن بن يعمر الشامي؛ قال فيه الإمام البرقاني عن الدارقطني قال: «مصري يكذب، يروي عن الثقات الأباطيل بواطيل».

وقال الحاكم، وأبو سعيد النقاش: «روى أحاديث موضوعة». اهـ.

قاعدة: قال الدارقطني: وسمعت أبا طالب-يعني أحمد بن نصر الحافظ يقول: قال أخو ميمون- واسمه أحمد بن ميمون بن زكريا البغدادي: «اتفقنا على أن لا نكتب بمصر حديث ثلاثة وهم: علي بن الحسن الشامي، وروح بن صلاح، وعبد المنعم بن بشير». اهـ.

٧٥٨- «إذا قام أحدكم إلى الصلاةِ فَليسوِّ مَوْضع سجوده، ولا يدعه حتى إذا هوى ليسجد نفخ ثم سجد، فلئن يسجد أحدكم على جمرة خيرٌ من أن يسجد على نفخته».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣/١) (ح٢٤٤) قال: حدثنا أحمد بن رشدين، قال: حدثنا عبد المنعم بن بشير الأنصاري، قال: حدثنا أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المدني عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة مرفوعًا، وهذا الحديث غريب حيث قال الإمام الطبراني: «لا يُرْوى هذا الحديث عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة: إلا بهذا الإسناد تفرد به أبو مودود». اهـ.

قال الحافظ البيهقي في «مجمع الزوائد» (٨٣/٢): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد المنعم بن بشير، منكر الحديث». اهـ.

قلتُ: ونقل الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٨٨/٤) (٥٣٢٦/٩٧٥): أن الختلي قال: سمعت يحيى بن معين يقول: أتيت عبد المنعم فأخرج إليَّ أحاديث أبي مودود نحوًا من مائتي حديث كذب، فقلت له: يا شيخ، اتق الله فإن هذه كذب، وقمت ولم أكتب عنه شيئًا». ثم نقل الإمام أحمد قال: «كذاب»، والخليلي قال: «هو وضاع على الأئمة»، والدارقطني قال: «غير ثقة». فالحديث موضوع.

٧٥٩- «الصلاةُ خيرُ موضوع؛ فمن استطاع منكم أن يستكثر فليستكثرْ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (ح٢٤٥) بنفس السند السابق، وعلته عبد المنعم بن بشير الأنصاري المصري، وقد بيَّنْتُ حاله آنفًا أنه كذاب غير ثقة وضَّاع.

٧٦٠- «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء، واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تُعرضُ عليَّ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (ح٢٤٣) بنفس السند السابق، وعلته عبد المنعم بن بشير الأنصاري المصري، وقد بينا حاله آنفًا أنه كذاب غير ثقة وضَّاع، وهو من الثلاثة الذين بيَّنا آنفًا أنه اتفق على أن لا يُكتب بمصر حديثهم.

٧٦١- «علماءُ أُمتي كأنبياء بني إسرائيل».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ القاري في «الموضوعات» (ح١٩٦) وقال: «لا أصل له، كما قال الدميري، والزركشي والعسقلاني». اهـ.

٧٦٢- «ما من عبدٍ يُصلي ليلة العيدِ ست ركعاتٍ، إلاَّ شُفِّعَ في أهلِ بيته، كلهم قد وجب لهم النارُ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٧٥- الغرائب الملتقطة) من حديث إسماعيل بن أبي زياد، عن سليمان التيمي، عن أ بي عثمان النهدي، عن سلمان مرفوعًا، وعلته: إسماعيل بن أبي زياد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان مرفوعًا، وعلته: إسماعيل بن أبي زياد، وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٣١/ ٨٨٥): «إسماعيل بن أبي زياد الشقري قال يحيى: كذاب». اهـ.

ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/ ٤٥٤/ ١٢٨٠): أن الأزدي قال: «كذاب خبيث». اهـ.

٧٦٣- «قراءةُ سورةُ القلاقل أمانٌ من الفقرِ».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٧٦٩) وقال: «لا أعرفه»، وأورده الحافظ القاري في «الموضوعات» (ح٢١٤)، ونقل السخاوي قال: «لا أصل له». اهـ. وسورة القلاقل هي التي أولها: «قل...» وهي أربع سور: سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، وسورتا المعوذتين.

٧٦٤- «ليس للعبدِ من صلاتِه إلاَّ ما عَقَلَ منها».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/ ١٦٠) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده مرفوعًا». اهـ.

قلتُ: والخبر أخرجه الإمام أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٦١) من قول سفيان الثوري: «يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها». والخبر من قول سفيان ثابت صحيح، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/ ٣١١): «سفيان بن سعيد الثوري ثقة حافظ عابد إمام حُجَّة من رءوس الطبقة السابعة». اهـ.

قلتُ: والطبقة السابعة: هي طبقة كبار أتباع التابعين، وبهذا يكون هذا الخبر مقطوعًا.

قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٥٧): «المقطوع هو ما ينتهي إلى التابعي ومن دون التابعي من أتباع التابعين فمن بعدهم». اهـ.

أما «المنقطع» فهو من أنواع السقط في الإسناد.

فائدة: قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة»: «في التفرقة في الاصطلاح بين «المقطوع» و«المنقطع»، فالمنقطع: من مباحث الإسناد، والمقطوع من مباحث المتن كما ترى». اهـ.

فقه المرأة المسلمة

الحلقة الثانية والعشرون

بعض أحكام كفارة الجماع في نهار رمضان وصيام الستة من شوال

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فهذه بعض الأحكام المتعلقة بصيام الستة من شوال وكفارة الجماع في نهار رمضان، عسى الله تعالى أن ينفع بها ويجعلها في ميزان حسناتنا.

أولاً: الحكم إذا جامع الرجل امرأته في نهار رمضان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: ما لك، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبة تعتقها؟، قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟، قال: لا. قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فبينا نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر، والعرق المكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فوالله ما بين لابتيها- يريد الحرتين- أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك» (أخرجه البخاري ١٩٣٦، ومسلم ١١١١).

تنازع الفقهاء في وجوب الكفارة على المرأة، فذهبت طائفة أن الكفارة تقع على الرجل والمرأة فيلزم كل واحد منهما كفارة، أما وقوعها على الرجل فلحديث أبي هريرة المتقدم.

وأما المرأة فلأنها أفسدت صومها فحكمها حكم الرجل، وهذا مذهب مالك، وأبي حنيفة، وأحد الروايتين عن أحمد، وابن المنذر من الشافعية، وغيرهم.

وذهبت طائفة إلى أن الكفارة تقع على الرجل وحده؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الأعرابي بالكفارة، ولم يأمر امرأته، وهذا هو المشهور عن الشافعي، ورواية عن أحمد، وأهل الظاهر.

ونذكر أقوال أهل العلم:

أولا: من قال بوجوب الكفارة على الرجل والمرأة:

جاء في مواهب الجليل (٢/٥١٢): "إن أكره امرأته في نهار رمضان فوطئها فعليهما القضاء، وعليه عنها الكفارة. قال مالك: إن وطئها في نهار رمضان أيامًا فعليه لكل يوم كفارة، وإن وطئها في يوم مرتين فعليه كفارة واحدة؛ لأنه إنما أفسد يومًا واحدًا. قال: وإن طاوعته امرأته في الوطء أول النهار وحاضت في آخره فلابد لها من القضاء والكفارة".

جاء في بدائع الصنائع (٢/١٤٧، ١٤٨): "إن النص وإن ورد في الرجل لكنه معلول بمعنى يوجد فيهما وهو إفساد صوم رمضان بإفطار كامل حرام محض متعمدًا فتجب الكفارة عليها بدلالة النص، وبه تبين أنه لا سبيل إلى التحمل لأن الكفارة إنما

وجبت عليها بفعلها، وهو إفساد الصوم اهـ.

قال صاحب المغني (٨٨/٣): "ويفسد صوم المرأة بالجماع بغير خلاف نعلمه في المذهب... وهل يلزمها الكفارة؟ على روايتين: إحداهما: يلزمها، وهو اختيار أبي بكر وقول مالك، وأبي حنيفة، وأبي ثور، وابن المنذر، ولأنها هتكت صوم رمضان بالجماع، فوجبت عليها الكفارة كالرجل. والثانية: لا كفارة عليها، قال أبو داود: سئل أحمد عمن أتى أهله في رمضان، أعليها كفارة؟، قال: ما سمعنا أن على امرأة كفارة، وهذا قول الحسن، وللشافعي قولان كالروايتين.

ثانيًا: من قال بوجوب الكفارة على الرجل وحده:

قال الشافعي في الأم (١٣٥/٢): "ولو جامع بالغة كانت الكفارة لا يزاد عليها على الرجل وإذا كفر أجزأ عنه وعن امرأته".

تعقيب وترجيح

والذي أرجحه بعد ذكر هذه الأقوال والمذاهب هو ما ذهب إليه الإمام مالك، وأبو حنيفة، وهي إحدى الروايتين عن أحمد أن الكفارة تقع على الرجل والمرأة؛ فتلزم كل واحد منهما كفارة؛ لحديث أبي هريرة المتقدم، أما المرأة فلأنها أفسدت صومها بفعلها فحكمها حكم الرجل. وما ذهب إليه الجمهور من أن المرأة إذا أكرهت فليس عليها كفارة هو الصواب، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه»- صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٤٥) وغيره. والله تعالى أعلم.

ثانيًا: ترتيب كفارة الجماع:

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب ترتيب الكفارة كما وردت في الحديث، وهي العتق أولاً، فإن لم يستطع فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينًا.

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار (١١٦/٢): «إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: أتجد رقبة؟ قال: لا، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع، قال: فأطعم ستين مسكينًا»، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمره بكل صنف من هذه الأصناف الثلاثة لما لم يكن واجدًا للصنف الذي ذكره له قبله.

وهذا ما ذهب إليه الحنابلة في المغني (٩١/٣)، والشافعي في الأم (١٣٤/٣)، وابن حزم في المحلى (٣١٨/٤) وغيرهم.

رابعًا: هل يجب على المجامع في نهار رمضان الكفارة وقضاء اليوم الذي جامع فيه؟

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- إن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقد وقع بأهله في رمضان.... فذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه..... وقال في آخره: «فصم يومًا واستغفر الله»- صحيح أبي داود (٢٣٩٣)، وابن خزيمة (١٩٥٤)، والبيهقي (٢٤٦/٤)، والإرواء (٩٠/٤)، قال الحافظ في التلخيص (٤١٠/٢)، هذه الزيادة غير محفوظة، وأعلها ابن القيم بالإرسال- عون المعبود (١٩/٧).

ذهب أكثر أهل العلم إلى وجوب قضاء اليوم الذي أفسده بالجماع مع الكفارة؛ لأن من أفسد صيام يوم فعليه القضاء، أما الكفارة فهي زجرٌ له للكبيرة التي ارتكبها وهي الجماع في نهار رمضان، وهذا مذهب مالك، وأحمد، وأبي حنيفة، والشافعي في أظهر أقواله وغيرهم.

أقوال أهل العلم:

قال الكاساني في بدائع الصنائع (١٤٨/٢): "يجب مع الكفارة القضاء عند عامة العلماء، وقال الأوزاعي: إن كفر بالصوم فلا قضاء عليه وزعم أن الصومين يتداخلان، وهذا غير سديد لأن صوم شهرين يجب تكفيرًا وزجرًا عن جناية الإفساد أو رفعا لذنب الإفساد، وصوم القضاء يجب جبرًا للفائت، فكل واحد منهما شرع لغير ما شرع له الآخر فلا يسقط صوم القضاء بصوم شهرين كما لا يسقط بالإعتاق".

جاء في التمهيد (١٦٩/٥، ١٧٠) بتصرف: "قال مالك: الذي آخذ به في الذي يصيب أهله في شهر رمضان إطعام ستين مسكينًا وصيام ذلك اليوم.

وقال الشافعي: يحتمل إن كفر أن تكون الكفارة بدلا من الصوم ويحتمل أن يكون الصيام مع الكفارة ولكل وجه، وأحب إلي أن يكفر ويصوم مع الكفارة.

وقال المزني عنه: من وطئ امرأته فأولج عامدًا، كان عليه القضاء والكفارة.

وقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وأحمد بن حنبل، وإسحاق:

يقضي يومًا مكانه ويكفر مثل كفارة الظهار.

وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: الذي يجامع في رمضان فكفر أليس عليه أن يصوم يومًا مكانه؟

قال: ولا بد من أن يصوم يومًا مكانه".

خامسًا: إذا تكرر الجماع هل تتكرر الكفارة؟

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الجماع إذا تكرر تتكرر الكفارة؛ لأن كل يوم عبادة مستقلة، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد، ومالك، وداود الظاهري.

وقال الحنفية: ليس عليه إلا كفارة واحدة وإن تكرر الجماع وعليه قضاء الأيام التي جامع فيها، وحجتهم: أن حرمة الشهر واحدة ولا تتجدد فيجب عليه أن يكفر مرة واحدة، وإن تكرر الجماع، فإن كفر ثم أفطر بجماع فعليه كفارة أخرى.

وها هي أقوال أهل العلم في ذلك:

جاء في المجموع (٦/٣٧١): "قد ذكرنا أن مذهبنا أنه يجب لكل يوم كفارة، سواء كفر عن الأول أم لا، وبه قال مالك وداود وأحمد في أصح الروايتين عنه".

قال الحطاب في مواهب الجليل (٢/٥١٢): "قال مالك: إن وطئها في نهار رمضان أيامًا فعليه لكل يوم كفارة وإن وطئها في يوم مرتين؛ فعليه كفارة واحدة؛ لأنه إنما أفسد يوما واحدًا".

قال المرداوي في الإنصاف (٣/٢٨٧) بتصرف: "قوله: (وإن جامع في يومين ولم يكفر، فهل يلزمه كفارة أو كفارتان؟) على وجهين: أحدهما: يلزمه كفارتان وهو المذهب وحكاه ابن عبد البر عن الإمام أحمد- رحمه الله-، كيومين في رمضانين. الوجه الثاني: لا يلزمه إلا كفارة واحدة كالحدود وهو ظاهر كلام الخرقي".

جاء في المبسوط (٣/٨٠): "وإن جامعها ثانيا في الشهر فعليه كفارة واحدة عندنا، فإن أفطر في يوم وكفر ثم أفطر في يوم آخر فعليه كفارة أخرى".

قال: إن كمال الجناية باعتبار حرمة الصوم والشهر جميعًا حتى أن الفطر في قضاء رمضان لا يوجب الكفارة لانعدام حرمة الشهر وباعتبار تجدد الصوم لا تتجدد حرمة الشهر.

تعقيب وترجيح

أرى-والله تعالى أعلم- أن الصواب ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة مالك، والشافعي، وأحمد من وجوب كفارة لكل يوم جامع فيه؛ لأن كل يوم مستقل عن الآخر كرمضانين وكالحجتين.

ثالثًا: هل يجوز صوم الستة من شوال قبل قضاء صيام رمضان؟

لم يرد في هذه المسألة نص من كتاب أو سنة، ولم ينعقد الإجماع على شيء صريح، ولكن قال بعض أهل العلم: لا يجوز صيام الستة أيام من شوال قبل قضاء رمضان، وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال» أخرجه مسلم (١١٦٤)، قالوا: الذي عليه صوم من رمضان لا يقال له صام رمضان؛ لأنه لم يكمل عدة رمضان فلا يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال.

ويرد على هذا القول من عدة وجوه:

الأول: أن صوم رمضان معلق في ذمته، فإذا صام ستًا من شوال، ثم قضى ما عليه من صوم رمضان قبل دخول رمضان آخر فقد برئت ذمته، وحصل له ثواب صوم الدهر كما جاء في الحديث، وأيضًا الحديث ليس فيه تصريح أن القضاء يكون أولًا ثم صوم الستة ثانيًا، ولكن جاء في الحديث: «من صام رمضان»، والذي يؤجل قضاء رمضان بعد أن يصوم الستة ثم يقضي ما عليه قبل دخول رمضان آخر ينطبق عليه أنه صام رمضان.

الثاني: من أفطر أكثر رمضان لعذر مرض أو نحوه وأراد أن يصوم ستًا من شوال ليحصل على ثواب صوم الدهر، فإذا قلنا له: اقض ما عليك ثم صم الستة فقد يكون في ذلك مشقة كبيرة على بعض الناس.

أيضًا من أفطر رمضان كله لعذر، وقلنا له: اقض ما عليك من صوم رمضان أولاً، ثم صم الستة فلم يستطع بأي حال من الأحوال؛ لأن قضاء رمضان استحوذ على شوال كله وبذلك يفوته فضل صوم الستة.

الثالث: ثبت عن عائشة رضي الله عنها كما جاء في الصحيحين، أنها كانت تقضي ما عليها من رمضان في شعبان، ويبعُد عن عائشة رضي الله عنها أن تترك صوم الستة من شوال، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، وصيام الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ونحو ذلك من صيام التطوع، فهذا دليل على جواز صيام التطوع قبل قضاء رمضان، ومن ثمَّ جواز صيام الستة من شوال قبل قضاء رمضان، وإن كان الأفضل تقديم القضاء على صيام الست من شوال، والله تعالى أعلم بالصواب.

وبالله التوفيق.

من روائع الماضي

صوم التطوع بعد الفريضة

إعداد **الشيخ زكريا حسيني محمد**
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصيام «باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعًا لرمضان» برقم (٢٧٥٨)، (٢٧٥٩)، (٢٧٦٠)، كما أخرجه الإمام أبو داود برقم (٢٤٣٣)، والإمام الترمذي برقم (٧٥٩)، والإمام ابن ماجه برقم (١٧١٦)، والإمام الدارمي برقم (١٧٥٤)، والإمام أحمد في المسند بالأرقام (٣٠٨/٣، ٣٢٤، ٣٤٤، ٤١٧/٥، ٤١٩).

راوي الحديث:

هو أبو أيوب الأنصاري الخزرجي البخاري البدري، السيد الكبير الذي خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبنى المسجد الشريف.

واسمه: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار من ثعلبة بن الخزرج، حدث عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين، منهم: جابر بن سمرة، والبراء بن عازب، والمقدام بن معديكرب، وعبد الله بن يزيد الخطمي، وجبير بن نفير، وسعيد بن المسيب، وموسى بن طلحة، وعروة بن الزبير، وعطاء بن يزيد الليثي وغيرهم.

قال الذهبي: وله عدة أحاديث، ففي «مسند بقي» له مائة وخمسة وخمسون حديثًا اتفق الشيخان على سبعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة.

وقال أيضًا في سيرة ابن عباس: أنه كان أميرًا على البصرة لعلي، وأن أبا أيوب وفد عليه، فبالغ في إكرامه، وقال: لأجزينك على إنزالك النبي صلى الله عليه وسلم عندك، فوصله بكل ما في المنزل، فبلغ ذلك أربعين ألفًا.

وقد روي من غير وجه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه كان محبًا للغزو في سبيل الله، وأنه مرض وهو في جيش، وكان على الجيش يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مت فاركب بي، ثم تبغي بي في أرض العدو ما وجدت مساغًا، فإذا لم تجد مساغًا

فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار به ثم دفنه، وكان يقول: قال الله تعالى: «انفرُوا خفَافًا وَثِقَالاً»، ولا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلاً.

وكان رضي الله عنه يقول: ادفنوني تحت أقدامكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة». مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة خمسين.

شرح الحديث:

قال الإمام النووي بعد أن ساق الحديث في شرحه على صحيح مسلم: فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي، وأحمد، وداود، وموافقتهم في استحباب صوم هذه الستة، وقال مالك، وأبو حنيفة: يكره ذلك، قال مالك في الموطأ: ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه يصومها، قال: ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وأن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون بذلك الناس أو أكثرهم أو كلهم لها، وقولهم: قد يظن وجوبها ينتقض بصوم عرفة وعاشوراء، وغيرهما من الصوم المندوب، قال أصحابنا: والأفضل أن تصام الستة متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل شوال إلى أواخر حصلت فضيلة المتابعة، لأنه يَصْدُقُ أنه أتبعه ستًا من شوال، يرى الإمام أحمد أنه لا فضل لأول شوال على آخره بل كلها سواء، فرقها أو تتابعت، كانت في أول الشهر أم في آخره.

قال ابن عبد البر في الاستذكار: وحديث ثوبان يعضد حديث عمر بن ثابت هذا- وهو الراوي عن أبي أيوب حديثنا هذا- وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها». رواه ابن ماجه، والدارمي، وأحمد، والبزار، والنسائي في الكبرى.

قال أبو عمر: لم يبلغ مالكًا حديث أبي أيوب- على أنه حديث مدني- والإحاطة بعلم الخاصة لا سبيل إليه، والذي كرهه له مالك أمر قد بينه وأوضحه، وذلك خشية أن يضاف إلى رمضان وأن يستبين ذلك إلى العامة، وكان رحمه الله متحفظًا كثير الاحتياط للدين.

ثم قال رحمه الله: وأما صيام الستة الأيام من شوال على طلب الفضل وعلى التأويل الذي جاء به ثوبان رضي الله عنه، فإن مالكًا لا يكره ذلك إن شاء الله، لأن الصوم جُنَّةٌ وفضله معلوم لمن رد طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى، وهو عمل بر وخير، وقد قال الله تعالى: «وَافْعَلُوا الْخَيْرَ» (الحج: ٧٧)، ومالك لا يجهل شيئًا من هذا، ولم يكره عن ذلك إلا ما خافه على أهل الجهالة والجفاء إذا استمر ذلك، وخشي أن يعدوه من فرائض الصيام مضافًا إلى رمضان، إلى أن قال: وقد يمكن أن يكون جهل الحديث ولو علمه لقال به، والله أعلم.

قال الإمام الترمذي بعد أن ساق حديث أبي أيوب: حديث أبي أيوب حديث حسن صحيح، وقد استحب قوم صيام ستة أيام من شوال بهذا الحديث، وقال ابن المبارك وهو من مثل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، قال ابن المبارك: ويروى في بعض الحديث: ويلحق هذا الصيام برمضان، واختار ابن المبارك أن يكون ستة أيام في أول الشهر، وقد روي عن ابن المبارك أنه قال: إن صام ستة أيام من شوال متفرقًا فهو جائز.

قال ابن قدامة في المغني: فإن قيل: فلا دليل في هذا الحديث في فضليتها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم شبه صيامها بصيام الدهر، وهو مكروه، قلنا: إنما كره صوم الدهر لما فيه من الضعف وللتشبيه بالتبتل، ولولا ذلك لكان فضلاً عظيمًا، لاستغراقه الزمان بالطاعة والعبادة، والمراد بالخبر التشبيه به في حصول العبادة به على وجه عَري عن المشقة، كما قال عليه السلام: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن صام الدهر». ذكر ذلك حثًا على صيامها وبيان فضلها، ولا خلاف في استحبابها، ثم قال: ولأن فضيلتها لكونها تصير مع الشهر ستة وثلاثين يومًا، والحسنة بعشر أمثالها، فيكون ذلك كثلاثمائة وستين يومًا وهي السنة كلها، فإذا وجد ذلك في كل سنة صار كصيام الدهر كله.

وأما صيام الدهر فقد ورد فيه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما المتفق عليه:

«لا صام من صام الأبد» قال في سبل السلام: اختلف في معناه، قال شارح المصابيح: فُسِّرَ هذا من وجهين: أحدهما: أنه على معنى الدعاء عليه زجرًا له عن صنيعه. والآخر: على سبيل الإخبار، والمعنى: أنه بمكابدته سورة الجوع وحر الظمأ لاعتياده الصوم حتى خف عليه، ولم يفتقر إلى الصبر على الجهد الذي يتعلق به الثواب فكأنه لم يصم، ولم تحصل له فضيلة الصوم، ويؤيد أنه للإخبار حديث أبي قتادة عند مسلم بلفظ: «لا صام ولا فطر». ويؤيده أيضًا حديث الترمذي عنه: «لم يصم ولم يفطر». قال ابن العربي: إن كان دعاء فيا ويح من دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان معناه الخبر فيا ويح من أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يصم، وإذا كان لم يصم شرعًا فكيف يكتب له ثواب؟

ثم قال صاحب سبل السلام: وقد اختلف العلماء في صيام الأبد- أي الدهر- فقال بتحريمه طائفة وهو اختيار ابن خزيمة مستدلين بهذا الحديث وما في معناه، وذهبت طائفة أخرى إلى جوازه، وهو اختيار ابن المنذر وتأولوا أحاديث النهي عن صيام الدهر بأن المراد من صامه مع صيام الأيام المنهي عنها من العيدين وأيام التشريق، وهو تأويل مردود بنهيه لابن عمرو عن صوم الدهر وتعليله بأن لنفسه عليه حقًا ولأهله حقًا ولضيفه حقًا. ولقوله صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني». فالتحريم هو الأوجه دليلاً.

فائدة لغوية: قال النووي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «ستًا من شوال» صحيح، ولو قال ستة بالهاء لجاز أيضًا، قال أهل اللغة: يقال صمنا خمسًا، وستًا، وخمسة، وستة، وإنما يلتزمون الهاء في المذكر إذا ذكروه صريحًا بلفظه؛ فيقولون: صمنا ستة أيام، ولا يجوز ست أيام، فإذا حذفوا الأيام جاز الوجهان، ومما جاء حذف الهاء فيه من المذكر إذا لم يذكر بلفظه قوله تعالى: «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» أي عشرة أيام.

صيام الستة من شوال لمن عليه قضاء من رمضان: من كان عليه قضاء أيام من رمضان فليقضها أولاً قبل أن يصوم الستة من شوال، وذلك لمن وجد عنده المقدرة على ذلك؛ لأن لفظ الحديث: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال»، فالذي عليه قضاء أيام من رمضان لم يصم رمضان، فعليه أولاً قضاء فرض رمضان ثم بعد ذلك يصوم الست من شوال، ذهب إلى ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وكذلك من خاف ألا يستطيع قضاء رمضان طوال العام إذا صام الستة من شوال تعين عليه القضاء في شوال.

أما إذا كان شوال لا يتسع ليقضي فيه ما عليه من أيام من رمضان مع صيام الستة وهو يرجو تفريق القضاء وبعد ذلك على أيام العام فإنه يجوز له صوم الستة من شوال وتأخير القضاء إلى ما بعد ذلك، لأن وقت الستة من شوال محصور في شوال، وأما وقت القضاء فموسع في أيام العام كلها لقوله تعالى: «فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ»، ولأن عائشة رضي الله عنها أخبرت عن نفسها أنها كان يكون عليها الأيام من رمضان فلا تقضيها إلا في شعبان، وليس من المعقول أنها كانت تترك صوم النوافل مع تأخيرها القضاء إلى شعبان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، قال يحيى: الشُّغْلُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو برسول الله صلى الله عليه وسلم». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وأخرجه أيضًا عنها أنها قالت: «إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتي شعبان».

قال النووي رحمه الله: ومذهب مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد، وجماهير السلف والخلف أن قضاء رمضان في حق من أفطر بعذر كحيض وسفر يجب على التراخي ولا يشترط المبادرة به في أول الإمكان لكن قالوا لا يجوز تأخيره عن شعبان الآتي. وقال داود: تجب المبادرة به في أول يوم العيد من شوال وحديث عائشة يرد عليه.

قال الجمهور: ويستحب المبادرة به للاحتياط.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على الصيام والقيام، وأن يتقبل صالح الأعمال، وأن يجعلها خالصة له وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

أحكام الصلاة

صلاة التطوّع

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بدأنا في الحديث عن صلاة التطوع، وذكرنا فضلها وأنواعها، وتحدثنا عن السنن الرواتب المؤكدة المرتبطة بالصلوات الخمس القبلية والبعدية، ونكمل الحديث فيما بدأناه:

ثانياً: كراهة وَصْل النافلة بالفريضة:

ذهب جمهور أهل العلم إلى كراهة وصل النافلة بالفريضة، واحتجوا بأدلة منها:

عن الأزرق بن قيس قال: صلى بنا إمام لنا يُكنى أبا رمثة فقال: صليت هذه الصلاة أو مثل هذه الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وكان أبو بكر، وعمر يقومان في الصف المقدم عن يمينه، وكان رجل قد شهد التكبيرة الأولى من الصلاة فصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم سلم عن يمينه وعن يساره حتى رأينا بياض خديه، ثم انفتل كانفتال أبي رمثة-يعني نفسه-، فقام الرجل الذي أدرك معه التكبيرة الأولى من الصلاة يشفع، فوثب إليه عمر فأخذ بمنكبه، فهزه ثم قال: اجلس! فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنه لم يكن بين صلواتهم فَصْل. فرفع النبي صلى الله عليه وسلم بَصَره فقال: أصاب الله بك يا ابن الخطاب. (رواه أبو داود، ورواه الحاكم، وصححه، ورواه الإمام أحمد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم).

وهذا الحديث اختلفوا في تصحيحه؛ فحسَّنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة بعد أن ضعَّفه في السنن وضعَّفه الشيخ عبد المحسن العباد في شرحه لسنن أبي داود.

وجه الدلالة من الحديث إنكار عمر رضي الله عنه وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك.

فالحديث يدل على أن الإنسان لا يقوم ويتنفل مباشرة بعد السلام؛ فإن هذا لا يستقيم، ولم يأت شيء يدل على هذا الربط بين الفريضة والنافلة، فهذا لا يصلح؛ لأن هذا يخالف ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإتيان بالذكر المشروع بعد الصلاة، فإذا أتى بالذكر المشروع بعد الصلاة ثم يقوم بعد ذلك ويتنفل، وكان الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم يفعلونه. (شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد).

ويدل عليه- أيضًا-: ما روى السائب بن يزيد، قال: صليت مع معاوية الجمعة في المقصورة، فلما سلم قمت في مقامي فصليت، فلما دخل أرسل إلي، فقال: لا تَعُدْ لما فعلت، إذا صليت الجمعة فلا تَصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج؛ فإن رسول الله أمرنا بذلك؛ أن لا تُوصَل صلاةٌ بصلاةٍ حتى نتكلم أو نخرج.

وعن عطاءٍ أنه قال فيمن صلى المكتوبة: لا يصلي مكانه

نافلةً إلا أن يقطع بحديث، أو يتقدم أو يتأخر.

قال النووي: فيه دليل لما قاله أصحابنا أن النافلة الراتبة وغيرها يُستحب أن يتحول لها عن موضع الفريضة إلى موضع آخر، وأفضل التحول إلى بيته وإلاَّ فموضع آخر من المسجد أو غيره ليكثر مواضع سجوده، ولتنفصل صورة النافلة عن صورة الفريضة، وقوله (حتى نتكلم) دليل على أن الفصل بينهما يحصل بالكلام أيضًا. (شرح مسلم ٦/١٧٠-١٧١).

وروي عن ابن مسعودٍ أنه كان إذا سلم قام وتحوَّل من مكانه غير بعيدٍ.

وكان ابن عمر يكره أن يصلي النافلة في المكان الذي يصلي فيه المكتوبة، حتى يتقدم أو يتأخر أو يتكلم. (فتح الباري. لابن رجب).

وعند الحنفية يُستحب أن يكون الفصل بينهما بمقدار ما يقول المصلي: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، واحتجوا بما روى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»؛ فهذا نص صريح في المراد. (فتح القدير لكمال الدين ابن الهمام).

ثالثًا: أداء الرواتب

أ- أداؤها مثنى مثنى:

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى»، قال أبو عيسى: اختلف أصحاب شعبة في حديث ابن عمر فرفعه بعضهم وأوقفه بعضهم، وروي عن عبد الله العمري عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا ، وقد اختلف أهل العلم في ذلك؛ فرأى بعضهم أن صلاة الليل والنهار مثنى مثنى، وهو قول الشافعي وأحمد، وقال بعضهم: «صلاة الليل مثنى مثنى»، ورأوا صلاة التطوع بالنهار أربعًا مثل الأربع قبل الظهر، وغيرها من صلاة التطوع، وهو قول سفيان الثوري، وابن المبارك، وإسحاق. وقال الألباني: .

قلت: من شروط الحديث الصحيح أن لا يشذ راويه عن رواية الثقات الآخرين للحديث، وهذا الشرط في هذا الحديث مفقود؛ لأن الحديث في «الصحيحين» وغيرهما من طرق عن ابن عمر دون ذكر «النهار»، وهذه الزيادة تفرد بها علي بن عبد الله الأزدي عن ابن عمر دون سائر من رواه عن ابن عمر، وقد قال الحافظ في الفتح «ما مختصره: «إن أكثر أئمة الحديث أعلُّوا هذه الزيادة بأن الحفَّاظ من أصحاب ابن عمر لم يذكروها عنه، وحكم النسائي على راويها بأنه أخطأ فيها، وروى ابن وهب بإسناد قوي عن ابن عمر قال: صلاة الليل والنهار مثنى مثنى. موقوف. فلعل الأزدي اختلط عليه الموقوف بالمرفوع فلا تكون هذه الزيادة صحيحة على طريقة من يشترط في الصحيح أن لا يكون شاذًا، وقد روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه كان يصلي بالنهار أربعًا أربعًا». وهذا في «المصنف» ٢/٢٧٤ بسند صحيح.

قلت: فإن لم تثبت هذه الزيادة فمفهوم الحديث الصحيح: «صلاة الليل مثنى مثنى...» يدل على أن صلاة النهار ليست كذلك فتصلى أربعًا متصلة؛ كما قال الحنفية. قال الحافظ ٢/٢٨٣: «وتُعُقِّب بأنه مفهوم لقب وليس بحجة على الراجح».

قلت: ويؤيده صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلاة الضحى ثماني ركعات يُسلِّم من كل ركعتين؛ وهو حديث صحيح أخرجه أبو داود ١/٢٠٣ بإسناد صحيح على شرطهما وهو في «الصحيحين» دون التسليم. وقال الحافظ في «الفتح» ٣/٤١: «أخرجه ابن خزيمة، وفيه ردّ على مَن تمسك به في صلاتها موصولة سواء صلى ثماني ركعات أو أقل».

قلت: فهذا الحديث يُستأنس به على أن الأفضل التسليم بعد كل ركعتين في الصلاة النهارية. والله أعلم.

ثم وجدت للحديث طرقًا أخرى وبعض الشواهد أحدها صحيح خرجتها في «الروض النضير» ٥٢٢ فصح الحديث، والحمد لله، ولذلك أوردته في «صحيح أبي داود» ١١٧٢.

واستدل الشافعي، ومالك، وأحمد بهذا الحديث أن النوافل بالليل والنهار أفضلها مثنى مثنى. وقال أبو يوسف، ومحمد: بالليل: مثنى مثنى، وبالنهار: أربع أربع. وقال أبو حنيفة فيهما: أربع أربع، أما الليل: فلحديث عائشة: « صلى أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن»؛ لما يجيء تمامُه إن شاء الله تعالى في « باب صلاة الليل « ، وأما النهار: فلحديث نعيم بن همار ونحوه. شرح سنن أبي

داود بدر الدين العيني.

فهذا الحديث يدل على أن المستحب في صلاة تطوع الليل والنهار أن تكون مثنى مثنى، إلا ما خصّه الدليل، فإن صلاها أربعاً جميعاً فلا حرج؛ لإطلاق بعض الأحاديث الواردة في ذلك. الجواب: أقول: جمعاً بين الدليلين يكون الأولى هو صلاة ركعتين ركعتين، وإن جمعهما-كما جاء في بعض الأحاديث- فجائز. (شرح سنن أبي داود- المؤلف: عبدالمحسن العباد).

وجاء في شرح ابن حجر لصحيح البخاري قوله: «باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى»: أي في صلاة الليل والنهار، قال ابن رشيد مقصوده أن يبين بالأحاديث والآثار التي أوردها أن المراد بقوله في الحديث «مثنى مثنى»: أن يسلم من كل ثنتين، وقوله: «قال محمد» هو المصنف قوله: «ويذكر ذلك عن عمار، وأبي ذر، وأنس، وجابر بن زيد، وعكرمة، والزهري»: أما عمار فكأنه أشار إلى ما رواه ابن أبي شيبة من طريق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عمار بن ياسر أنه دخل المسجد فصلى ركعتين خفيفتين إسناده حسن. وأما أبو ذر فكأنه أشار إلى ما رواه بن أبي شيبة أيضًا من طريق مالك بن أوس عن أبي ذر أنه دخل المسجد فأتى سارية وصلى عندها ركعتين، وأما أنس فكأنه أشار إلى حديثه المشهور في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بهم في بيتهم ركعتين، وقد تقدم في الصفوف وذكره في هذا الباب مختصرًا، وأما جابر بن زيد وهو أبو الشعثاء البصري فلم أقف عليه بعد، وأما عكرمة فروى بن أبي شيبة عن حرمي بن عمارة عن أبي خلده قال: رأيت عكرمة دخل المسجد فصلى فيه ركعتين، وأما الزهري فلم أقف على ذلك عنه موصولاً، قوله: وقال يحيى بن سعيد الأنصاري إلخ لم أقف عليه موصولاً أيضًا، قوله: فقهاء أرضنا أي: المدينة، وقد أدرك كبار التابعين بها كسعيد بن المسيب، ولحق قليلاً من صغار الصحابة كأنس بن مالك، ثم أورد المصنف في الباب ثمانية أحاديث مرفوعة؛ ستة منها موصولة واثنان معلقان؛ أولها حديث جابر في صلاة الاستخارة، ثانيها حديث أبي قتادة في تحية المسجد، ثالثها حديث أنس في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم سليم، رابعها حديث ابن عمر في رواتب الفرائض، خامسها حديث جابر في صلاة التحية والإمام يخطب، سادسها حديث ابن عمر عن بلال في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة، سابعها قوله وقال أبو هريرة: أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بركعتي الضحى، هذا طرف من حديث، ثامنها قوله وقال عتبان بن مالك هو طرف من حديث تقدم في مواضع مطولاً ومختصرًا، منها في باب المساجد في البيوت، وسيأتي قريبًا في باب صلاة النوافل جماعة، ومراد المصنف بهذه الأحاديث الرد على من زعم أن التطوع في النهار يكون أربعًا موصولة. (فتح الباري- ابن حجر)

وهذا الحديث: يدل على أن التطوع بالليل كله مثنى مثنى، سوى ركعة الوتر، فإنها واحدة.

وقد عارض هذا حديث عائشة الذي أخرجه مسلم من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن النبي (كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر في ذلك بخمس، لا يجلس في شيء منهن، إلا في آخرهن.

وقد تكلم في حديث هشام هذا غير واحد.

وقد خرّجه أبو داود بلفظ آخر، وهو: أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ثمان ركعات، لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس فيذكر الله، ثم يدعو، ثم يسلم تسليماً، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعدما يسلم، ثم يصلي ركعة، فتلك إحدى عشرة ركعة.

وفي هذه الرواية: أنه كان يصلي الركعتين جالساً قبل الوتر، ثم يوتر بعدها بواحدة.

وهذا يخالف ما في رواية مسلم.

ورواه سعد بن هشام، عن عائشة، واختلف عليه في لفظه:

فروي عنه: الوتر بتسع، وروي عنه: بواحدة.

ورواه أبان عن قتادة بهذا الإسناد، ولفظه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث، ولا يقعد إلا في آخرهن.

قال الإمام أحمد: فهذه الرواية خطأ. يشير إلى أنها مختصرة من رواية قتادة المبسوطة.

الروايات الصحيحة عن ابن عباس في وصفه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة بات عند خالته ميمونة، يدل عليه: أنه صلى الله عليه وسلم سلّم من كل ركعتين وأوتر بواحدة.

فلهذا رجحت طائفة حديث ابن عمر وابن عباس، وقالوا: لا يصلي بالليل إلا مثنى مثنى، ويوتر بواحدة.

وهذه طريقة البخاري والأثرم.

وقال ابن عبد البر: هو قول أهل الحجاز، وبعض أهل العراق.

ثم حكى عن مالك والشافعي وابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد، أن صلاة الليل مثنى مثنى.

قال: وقال أبو حنيفة في صلاة الليل: إن شئت ركعتين، وإن شئت أربعًا، وإن شئت ستًا وثمانيًا، ولا تسلم إلا في آخرهن.

وقال الثوري والحسن بن حي: صلاة الليل ما شئت، بعد أن تقعد في كل ركعتين وتسلم في آخرهن.

وحكى الترمذي في «كتابه» أن العمل عند أهل العلم على أن صلاة الليل مثنى مثنى.

قال: وهو قول سفيان وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.

وحكاه ابن المنذر وغيره عن ابن عمر وعمار، وعن الحسن وابن سيرين والشعبي والنخعي وسعيد بن جبير وحماد ومالك والأوزاعي.

وحمل هؤلاء كلهم قول عائشة: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي أربعًا، ثم أربعًا» على أنه كان لا يسلم بينها، وحمله الآخرون على أنه كان يفصل بينها بسلام.

وهذا كله في التطوع المطلق في الليل (فتح الباري - لابن رجب).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

فقه الواقع: أصول وضوابط

إعداد **أ. د/ أحمد منصور سبالك**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

تقبل الله منا ومنكم أيها القراء الكرام، وأعاد علينا وعليكم وعلى المسلمين العيد أعوامًا عديدة بالخير واليمن والبركات.

ما زال الحديث مستمرًا عن الفكر الإسلامي وعن أصوله ومجالاته وضوابطه وقواعده، وقد انتهينا من عرض سريع للعقول الفقهية ووظائفها، وها نحن نبدأ بسلسلة جديدة في الفكر الإسلامي، واخترت لهذه السلسلة عنوانًا:

«فقه الواقع: أصول وضوابط»

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع بعون الله تعالى ومدده وحوله وقوته، وسنتكلم فيه في حلقاتنا القادمة حتى نصل بغلبة الظن إلى استيفاء كامل له.

وسبب اختيار هذا الموضوع النظر في واقع وحال المسلمين شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا.

ماذا عليه أن يفعل في هذا الحدث الذي وقع في واقعة ما، حتى يتحقق عنده صلاحية هذا الشرع الحنيف في كل زمان ومكان يكون فيه المكلف، ولا تكن عنده الشريعة قاصرة في وقت أو في مكان معين.

فهذه المراحل الأربعة تعيين الفقيه على معرفة الواقع وفقهه وإدراكه وإخراج الحكم فيه، على الترتيب كما ذكرنا.

وبإذن الله تعالى نتحدث المرة القادمة عن: كيفية الاستفادة من هذه المعرفة، وهي النقطة الثانية المنبثقة من تعريف «فقه الواقع».

سائلاً المولى سبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

منبر الحرمين

الثبات على العبادة بعد رمضان

إعداد / عبد الله بن عبد الرحمن البعيجان

خطيب المسجد النبوي الشريف

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ربُّ الأرض والسماوات، وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن سارَعَ إلى الخَيرات، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه، وعلى آلِه وأصحابِه أهلِ التقوَى والصالحات.

أما بعدُ: فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدي هَديُ مُحمد - صلى الله عليه وسلم -، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

عباد الله: أُوصيكُم ونفسي بتقوَى الله؛ فهي وصِيَّةُ الله للأولين والآخرين: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) (النساء: ١٣١).

معاشر المُسلمين: في انصرام الأزمان أعظمُ مُعتبَر، وفي تقلُّب الأيام أكبَرُ مُزدَجَر، (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) (يونس: ٦).

عبادَ الله: لقد ودَّعنا قبل أيام قليلة شهرًا كريمًا، وموسمًا عظيمًا من مواسم الخير والبركة، كان عامرًا بالأرباح والعطايا والهبات، والمغفرة والرَّحمات، المشاعرُ جيَّاشَة، والعيُون فيَّاضَة، والقلوبُ مُخبِتةٌ وجِلَة، والجوارِحُ نشطةٌ مُقبِلة، حلَقُ الذِّكر ورِياضُ الجِنان، عامِرةٌ بالذِّكر والقرآن.

قد نزَلَت السَّكينة، وغشيَت الرَّحمة، أكرَمَنا الله بصِيام نهاره، وقِيام ما تيَسَّر من ليله، ووفَّقنا فيه للكثيرِ من أنواع الطاعات والعبادات، والأذكار والدعوات، والصَدقات. فلله الحمدُ والمِنَّة، وله الشكرُ على هذه النِّعمة، فاللهم تقبَّل.

وما هي إلا أيامًا معدُودة، وساعاتٌ محدُودة، ولحَظاتٌ تمضِي، ووقتًا ينقَضِي، قد ذهبَ تعَبُه

ونصَبُه، وبقيَ أجرُه وربحُه إن شاء الله.

انقضى شهرُ رمضان، وطُويَت صحائفُه، وفازَ فيه مَن فازَ، وحُرِمَ فيه مَن حُرِمَ، فيا ليتَ شِعرِي مَن المقبُول فنُهنِّئُه، ومَن المردُودُ فنُعزِّيه.

عباد الله: للعبادة أثرٌ في سُلُوك صاحبها، قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت: ٤٥).

ومن علاماتِ قبُولِ الأعمال: تغيُّر الأحوال إلى أحسَنِ حال، وفي المقابل فإن من علامات الحرمان وعدمِ القبُول: الانتكاسُ بعد رمضان، وتغيُّرُ الأحوال إلى الأسوأ، فالمعاصي يجُرُّ بعضُها بعضًا. فما أحسنَ الحسنةَ بعد السيئة تمحوها، وأحسنَ منها الحسنةُ بعد الحسنة تتلوها، وما أقبَحَ السيئة بعد الحسنة تمحَقُها وتعفوها، ذنبٌ واحدٌ بعد التوبة أقبَحُ من أضعافه قبلَها.

النَّكسةُ أصعَبُ من المرض وربما أهلَكَت، سَلُوا الله الثباتَ على الطاعات إلى الممات، وتعوَّذُوا به من تقلُّب القلوب، ومن الحور بعد الكَور. ما أوحشَ ذُلَّ المعصيةِ بعد عزِّ الطاعة! وأفحَشَ فقرَ الطمع بعد غنَى القناعة!

أيها المُسلمون: إن طُرقَ الخيرات كثيرة، فأين السالكُون؟ وإن أبوابَها لمفتُوحة، فأين الداخلُون؟ وإن الحقَّ لواضحٌ لا يَزيغُ عنه إلا الهالكُون.

فخُذُوا - عباد الله - من كل طاعة بنصيب، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج: ٧٧).

وإن الصبرَ على المُداومة والاستقامة والثبات من أعظم القُرُبات؛ فالثباتُ والاستمرارُ دليلٌ على الإخلاص والقَبُول، وأحبُّ الأعمال إلى الله أدوَمُها، وكان عملُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ديمَة.

فالثباتَ الثباتَ على الطاعة، والاستقامةَ الاستقامةَ على البِرِّ، والمُداومَةَ المُداومَةَ على العمل.

عبادَ الله: الحرصَ الحرصَ على قَبُول الأعمال، والحذَرَ الحذَرَ من الإفلاس والزوال، ألا وإن من الخسارة الكُبرَى أن تُسديَ لغيرك أعظمَ ما تحصَّلتَ عليه من الحسنات، فذلك هو الإفلاسُ الحقيقيُّ.

جاء عن أبي هُريرة - رضي الله تعالى عنه-، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتدرُون مَن المُفلس؟»، قالوا: المُفلسُ فينا مَن لا درهَمَ له ولا متاع، فقال: «المُفلسُ من أمَّتي مَن يأتي يوم القيامة بصَلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتَمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكَلَ مالَ هذا، وسفَكَ دمَ هذا، وضرَبَ هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَت حسناتُه قبل أن يُقضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه ثم طُرِح في النار» (رواه مسلم).

عبادَ الله: وإن الاستهانةَ بمعصية الله، والتجرُّؤ على حُرُماته من أعظم أسباب الإفلاس والخُسران والضياع والخُذلان.

فعن ثوبان - رضي الله عنه-، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لأعلَمَنَّ أقوامًا من أمَّتي يأتُون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلُها الله هباءً منثُورًا»، قال ثوبَان: يا رسولَ الله! صفهم لنا لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنَّهم إخوانُكم ومن جلدَتكم، ويأخُذُون من الليل كما تأخُذُون، ولكنَّهم قومٌ إذا خلَوا بمحارم الله انتهَكُوها» (رواه ابن ماجه).

كانُوا يُصلُّون ويصُومُون، ويأخُذُون من الليل ما يأخُذُون، ولكنهم لا يُراقبُون الله في السرَّاء، فأدحَضَ الله أعمالَهم، وبدَا لهم من الله ما لم يكونُوا يحتَسِبُون.

إذا ما خلَوتَ الدَّهرَ يومًا فلا تقُلْ
خلَوتُ، ولكن قُل: عليَّ رقيبُ
ولا تحسَبَنَّ الله يغفَلُ ساعةً
ولا أن ما يُخفَى عليه يَغيبُ

ألا فاستَقيمُوا على طاعة ربِّكم، واستَجيبُوا لأمره في جميع أدوارِ حياتكم؛ تفوزُوا وتغنَمُوا، وتسعَدُوا تُفلحُوا.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ × أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأحقاف: ١٣، ١٤).

أيها المُسلمون: اتَّقُوا الله تعالى، وبادرُوا أعمارَكم بأعمالكم، وحقِّقُوا أقوالَكم بأفعالكم؛ فإن حقيقةَ عُمر الإنسان ما أمضَاه في طاعة الله، وإن الكيِّسَ مَن دانَ نفسه وعمِلَ لما بعد الموت، والعاجزَ

مَن أتبَعَ نفسَه هواها وتمنَّى الله الأمانيَّ.

عباد الله: الشهورُ كلُّها مواسمُ عَبادة، وإن تفاوَتَت واختلَفت في الفضلِ والوظائف، والعُمرُ كلُّه فُرصةُ عملٍ وطاعةٍ، وكلٌّ يغدُو فَبائِعٌ نفسَه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها، وكلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ له.

فيا مَن وفَى رمضانَ على أحسَنِ حالٍ، فزانَت منه الأقوالُ والأفعالُ؛ اثبُت ولا تتَغيَّرنَّ بعدَه في شَوال.

ويا مَن سبَقَك القومُ وتخلَّفتَ.. ومضَى أكثرُ العُمر وسوَّفتَ.. وضاعَت عليك فُرصةُ رمضان فما ربِحتَ؛ هلُمَّ فالأبوابُ لا زالَت مفتُوحة، والتوبةُ مَقبُولة، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣).

معشرَ المُسلمين: إن مِن سُنَنِ الهُدى: صِيامَ ستٍّ مِن شوال؛ فعن أبي أيوبَ الأنصاريِّ – رضي الله عنه- ، أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «مَن صامَ رمضان ثم أتبَعَه سِتًّا مِن شوال كان كصِيام الدَّهر» (رواه مسلم).

فقد جعلَ الله الحسنةَ بعشرةِ أمثالها؛ فشهرٌ بعشرةِ أشهُرٍ، وستَّةُ أيام بعد الفطرِ بعشرةِ أضعافِها ستِّين، فتلك تَمامُ السنةَ، ولا بأسَ بصِيامِها مُتتابعةً أو مُتفرِّقة.

فَلا يَبخَلَنَّ أحَدُكم على نفسه بستَّةِ أيام، لعلَّه أن يُكتَبَ ممَّن صامَ الدهرَ، وتَلك غنِيمةٌ عَظيمةٌ تستوجِبُ الحِرصَ والسعيَ والجِدَّ.

فاللهم اجعَلنا ممَّن تقبَّلتَ صِيامَه وقِيامَه، وسائرَ أعماله، اللهم أعِد علينا رمَضان أعوامًا عديدة، وأزمِنَةً مديدة ونحن في صحَّةٍ وعافِيةٍ وأمنٍ وأمانٍ.

اللهمَ أطِل أعمارَنا، وأحسِن أعمالَنا، واختِم لنا بخيرٍ يا رب العالمين.

اللهمَ أصلِح أحوالَ المُسلمين، اللهم أصلِح أحوالَ المُسلمين في كلِ مكانٍ يا رب العالمين.

عبادِ الله: اذكُروا الله العظيمَ الجليلَ يذكُركم، واشكُروه على نِعمه وآلائه يزِدكم، ولذِكرُ الله أكبر، والله يعلَمُ ما تصنَعُون.

نحو خطاب ديني مستنير

تجديد الخطاب الديني: يعني تجريد الدين مما علق به من البدع والخرافات والترهات وعبادة القبور، ليعود للدين جدته.

ومساهمة من جمعية أنصار السنة المحمدية في تجديد الخطاب الديني، فقد شرعت إدارة التراث بالجمعية في طبع بعض تراث علمائها السابقين، وكذا علماء الأزهر الشريف، وذلك لتوزيعها في المركز العام والفروع.

إدارة التراث والبحث العلمي
الشيخ/ فتحي أمين عثمان

عزاء واجب

توفي يوم الثلاثاء ٢٠١٩/٥/١٩ والد فضيلة الدكتور محمد سيف الدين، عضو مجلس إدارة فرع بلبيس، وشُيعت الجنازة من مسجد التوحيد. وخالص العزاء من أسرة مجلة التوحيد، داعين الله عز وجل أن يغفر له ويرحمه.

عزاء واجب

إنا لله وإنا إليه راجعون

كما توفي أيضًا الزميل والأخ العزيز عزت عبد الفتاح محمد، في أول شهر رمضان، وذلك بعد معاناة مع المرض، نسأل الله له الرحمة والمغفرة.

رئيس التحرير

واحة

من نور كتاب الله

نور الله باقٍ ودين الله ظاهر

قال الله تعالى: "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ" (التوبة: ٣٢، ٣٣).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر". (صحيح مسلم).

من أقوال الصحابة، رضي الله عنهم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أيها الناس، تعلَّموا كتاب الله تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله". (العقد الفريد).

حكم ومواعظ

عن ابن قتيبة قال: كان يقال: "مَن أراد عزًّا بلا عشيرة، وهيبةً بلا سلطان؛ فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله" (عيون الأخبار)

من فضائل الصحابة رضي الله عنهم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله: أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح". (مسند أحمد).

إعداد: علاء خضر

من الفطنة في الحكم والسياسة: كسب قلوب الرعية

دخل ابن خريم على المهدي، وقد عتب على بعض أهل الشام، وأراد أن يغزيهم جيشا، فقال يا أمير المؤمنين، عليك بالعفو عن الذنب، والتجاوز عن المسيء، فلأن تطيعك العرب طاعة محبَّة، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف. (العقد الفريد).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(مَا زالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقنتُ في صلاةِ الصبحِ حتى فارقَ الدنيا)؛ قال الشيخ أبو إسحاق: منكر جدًّا.. فالصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من عادته المداومة على القنوت في صلاة الصبح إلا في النوازل". (النافلة في الأحاديث الضعيفة الباطلة).

من معاني الأحاديث

«هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم. مأخوذ من النِّطَع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تَعَمُّق، قَوْلًا وَفِعْلًا. (النهاية لابن الأثير)

فائدة لغوية

الفرق بين الصمت والسكوت

الصمت يتولد من الأدب والحكم.

والسكوت يتولد من الخوف.

تميز الأُمة بأعيادها

عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فيهمَا، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فيهمَا في الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا؛ يَوْمَ الأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ»

[رواه أبو داود: ١١٣٤، والنسائي: ١٥٥٦].

أثر السياق في فهم النص

(١١٣)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٣)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نواصل الحديث بإذن الله تعالى عن أدلة الحجاب من القرآن والسنة، وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث السابع عشر.

الحديث السابع عشر:

عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو هريرة رضي الله عنه جالس عنده، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة؟ فقال ابن عباس: عدتها آخر الأجلين، فقلت: أنا بل تحل حين تضع. قال الله تبارك وتعالى: (وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)؛ فقال: إنما ذلك في الطلاق. فقال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي-يعني أبا سلمة- فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا إلى أم سلمة رضي الله عنها يسألها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت، وكانت تحت سعد بن خولة-وهو من بني عامر بن لُؤَيّ، وكان مِمَّن شهد بدرًا- فَتُوُفِّيَ عنها في حَجة الوَدَاع وهي حامل، فلم تَنْشَبْ أن وضعتْ حملها بعد وفاته، فلما تَعلّت من نفاسها تَجَمَّلَتْ للخُطّاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك- رجل من بني عبد الدار- فقال لها: ما لي أراكِ تجمَّلت للخطّاب تَرْجين النكاح؟ وإنَّك والله ما أنتِ بناكح حتى يمرَّ عليك أربعةُ أشهر وعشْر، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جَمَعْتُ عليَّ ثيابي حين أمْسَيْتُ، وأتيتُ رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-، فسألته عن ذلك؟ فأفتاني بأني قد حَلَلْتُ حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتزويج إن بَدَا لي»، وفي رواية: إذا أتاك أحد ترضينه فأتني به أو قال فأنبئيني، فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن شهاب فلا أرى بأسًا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر. (آخر الأجلين: عدة الحمل وعدة المتوفى عنها زوجها، والمعنى أن أي الأجلين كان أطول تعتد به فإن طال الحمل عن أربعة أشهر وعشرًا اعتدت بالحمل وإن قصر الحمل عن الأربعة أشهر وعشرًا اعتدت بالأربعة

أشهر وعشرًا عدة المتوفى عنها زوجها. أخرجه البخاري ح٣٧٧٠، ٤٦٢٦، ٥٠١٢، ومسلم ح ٥٦، ٥٧، ١٤٨٤، ١٤٨٥،، وأبو داود ح ٢٣٠٦، والترمذي ح، ١١٩٤، والنسائي ح ٣٥١٠، ٣٥١١، ٣٥١٢، ٣٥١٤، ٣٥١٦، ٣٥١٨، ٣٥٢٠، ابن ماجة ح ٢٠٢٧، ٢٠٢٨، وغيرهم).

يقول الشيخ الألباني: والحديث صريح الدلالة على أن الكفين ليسا من العورة في عرف نساء الصحابة، وكذا الوجه أو العينين على الأقل، وإلا لما جاز لسبيعة رضي الله عنها أن تظهر ذلك أمام أبي السنابل، لا سيما وكان قد خطبها فلم ترضه (جلباب المرأة المسلمة ص ٦٩).

قلت: في قوله تجملت للخطاب: احتمالات أن تكون ارتدت أحسن ملابسها فيعود التجمل على الملابس والهيئة. لكن ورد في الحديث أنها قد اكتحلت واختضبت، والكحل قد يدل على كشف الوجه بكامله ولا يدل ويكون ما ظهر منها العينان فقط. أما الخضاب فلا احتمال فيه فهذا يدل على أنها كانت مكشوفة اليدين. أما القول بأن المرأة إذا تقدم لها الخُطاب فإنه يجوز أن تظهر وجهها إن كانت منتقبة، فبعيد لأنها لم توافق على أبي السنابل ولم ترضه، فكيف تتجمل وتتزين له، وفى الحديث: فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال: مالي أراك تجملت للخُطاب؟

عمومًا الحديث ليس فيه دليل صريح لكشف الوجه؛ لأن التصريح فيه بالكحل، والكحل لا يدل على إظهار الوجه بكامله، لكن فيه أنها كانت كاشفة عن يديها ومختضبة، وهذا الذي يرد على من ذهب إلى إعطاء حكم الكفين حكم الوجه في الاستتار، وإن كان هذا غير مسلَّم به، لأنه من الممكن للمرأة المنتقبة أحيانًا أن تظهر كفيها لضرورة مناولة أو حمل أو غير ذلك.

الحديث الثامن عشر:

أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أدري أيد رجل أم يد امرأة؟ قالت: بل يد امرأة. قال: لو كنت امرأة لغيرت أظفارك يعني بالحناء (سنن أبي داود وغيره). سند الحديث: حدثنا حسن بن موسى قال: حدثنا مطيع بن ميمون العنبري يكنى أبا سعيد قال حدثتني صفية بنت عصمة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

قلت: مطيع بن ميمون العنبري: في ترجمته لابن عدي أورد حديثه هذا وقال: ولمطيع بن ميمون بهذا الإسناد حديث آخر وكلاهما غير محفوظ (انظر الكامل ت ١٩٤٣)، وقال عنه الحافظ ابن حجر: لين الحديث (تقريب التهذيب ت ٦٧٢٠)، وقال الألباني عن الحديث: وهذا سند لين (الثمر المستطاب ص ٣١٤) وحسنه بشواهده في سنن أبي داود ح ٤١٦٦، وفي سنن النسائي ح ٥٠٨٩، وذكر له عدة شواهد (انظر الثمر المستطاب ص ٣١١__٣١٥)، إضافة لجهالة صفية بنت عصمة؛ فقد انفرد بالرواية عنها مطيع بن ميمون وجهلها الحافظان الذهبي وابن حجر. وجاء في رواية الطبراني للحديث (٦٧٠٢) أن صفية هي أم مطيع بن ميمون، والحديث فيه أن المرأة كانت كاشفة عن يديها ولو كانت يداها عورة لما سكت النبي صلى الله عليه وسلم على كشفهما، بل أمر المرأة أن تخضب يديها ليكون ذلك فارقًا بينها وبين يدي الرجل.

لكن يبقى الاحتمال هل كان هذا قبل فرض الحجاب أم لا؟ لكن رواية للحديث عند أبي داود: أن هند بنت عتبة رضي الله عنها (زوج أبي سفيان رضي الله عنه) قالت: يا نبي الله بايعني قال: لا أبايعك حتى تغيري كفيك كأنها كفا سبع (سنن أبي داود ٤١٦٥)، وسند هذه الرواية فيه مجاهيل: غبطة وعمتها أم الحسن وجدتها. وأخرج البزار (ح٢٩٩٣) عن مسلم بن عبد الرحمن: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء عام الفتح على الصفا فجاءت امرأة كأن يدها يد رجل فأبى أن يبايعها حتى غيرت يدها بصفرة.

وفى سنده عباد بن كثير الرملي وهو ضعيف وجهالة شميسة بنت نبهان، ح ٣٠١٣ عن ابن عباس بنحوه، وفيه عبد الله بن عبد الملك الفهري وهو منكر الحديث، وليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧٧١

عن السوداء: أتيت رسول الله لأبايعه فقال اذهبي فاختضبي.... وفي إسناده نائلة وهي مجهولة، والحديث ضعفه برواياته الأرناءوط في مسند أحمد ح ٢٦٢٥٨، والألباني حسَّن الحديث بشواهده في صحيح سنن أبي داود.

فمن حسَّن الحديث استدل به على جواز كشف الكفين، ومن المعلوم أن إسلام هند رضي الله عنها إنما كان بعد فتح مكة، وفتح مكة كان بعد نزول آيات الحجاب، وبالتالي فلا احتمال يرد على الحديث في حال الأخذ بتحسينه أن ذلك كان قبل نزول الحجاب، قد يقال: إن هند أسلمت حديثًا ولا تعرف تعاليم الإسلام بعد، لكن يرد على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسكت على كشفها لكفيها لو كانا عورة، بل ويأمرها بتغييرهما بالحناء.

الاستدلال من الحديث:

يقول الشيخ التويجري مستدلاً بالحديث على وجوب تغطية الوجه: "وهذا الحديث يدل على أن نساء الصحابة رضي الله عنهم كن يستترن عن الرجال الأجانب ويغطين وجوههن عنهم ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ونساءً يفعلون شيئًا إلا بأمر من الشارع، فعلم من هذا أن الاستتار وتغطية الوجوه كان مشروعا للنساء ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة ترك الخضاب في يديها، وأقرها على الاستتار وتغطية الوجه (الصارم المشهور ص ٨٨).

واستدل الشيخ الألباني بالحديث وشواهده بجواز كشف وجه المرأة وكفيها، وإلا ما أقر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة على كشف يديها (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٧١-٧٢).

قلت: الحديث من ناحية سنده فيه ما ذكرت، أما من ناحية المتن فإن كان لليد حكم الوجه فيصير حجة لمن قال بجواز كشفهما، وإن كانت اليد قد يتجاوز عن كشفها -أحيانا- للضرورة فيصير حجة لمن قال بوجوب تغطيه الوجه.

ويرد هنا سؤال هل مناولة الكتاب من حالات الضرورة أم لا؟

الحديث التاسع عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو" (متفق عليه).

والحديث يحتج به من يقول بوجوب النقاب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بردائه.

يقول الإمام النووي: "وفيه جواز نظر النساء إلى لعب الرجال من غير نظر إلى نفس البدن، وأما نظر المرأة إلى وجه الرجل الأجنبي فإن كان بشهوة فحرام بالاتفاق، وإن كان بغير شهوة ولا مخافة فتنة ففي جوازه وجهان لأصحابنا (الشافعية) أصحهما تحريمه؛ لقوله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ)؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة وأم حبيبة: احتجبا عنه، أي: عن ابن أم مكتوم، فقالتا: إنه أعمى لا يبصرنا، فقال صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما أليس تبصرانه؟ وهو حديث حسن رواه الترمذي وغيره، وعلى هذا أجابوا عن حديث عائشة رضي الله عنها بجوابين. أقواهما أنه ليس فيه أنها نظرت إلى وجوههم وأبدانهم، وإنما نظرت إلى لعبهم وحرابهم، ولا يلزم من ذلك تعمد النظر إلى البدن، وإن وقع النظر صرفته في الحال. والثاني: لعل هذا كان قبل نزول الآية في تحريم النظر، وأنها كانت صغيرة قبل بلوغها فلم تكن مكلفة على قول من يقول: إن للصغير المراهق النظر.(شرح النووي على مسلم ٦/١٨٤).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الأستاذ محفوظ الدرديري شقيق الأستاذ سعيد الدرديري رئيس مجلس إدارة فرع ميت حمل، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، وانا لله وانا إليه راجعون.

رئيس التحرير

مهارات واجبة للدعاة

المهارة الثالثة: مهارة التفاوض

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. وبعدُ:

مهارات التفاوض:

فأرجو- ابتداء- ألا تنزعج من العنوان، فكل منا يعيش التفاوض بمختلف مستوياته وأساليبه.. منا من يتفاوض مع زوجته وأولاده، وزميله ورئيسه، وأهله وأصحابه، ومنا من يتفاوض مع البائع وسائق التاكسي حتى يقنع كل منهم الآخر.

لقد أصبح التفاوض -الآن- مهارة حياتية لازمة للإنسان في حله وترحاله، فليس التفاوض مقصورًا على الشركات أو خاصًا بإدارة الأعمال، أو حكرًا على النزاعات والصراعات الدولية الخاصة بالحقوق والأسرى، بل أصبح التفاوض ملازمًا للإنسان في يومه وليلته.

إن كل طرف من أطراف التفاوض يسعى للحصول على أفضل النتائج بأقل قدر ممكن من الصراعات النفسية التي تهدد الجهد الإنساني بالتشتت والضياع، ويأمل أن يقنع الآخر بما لديه من أفكار.

إياك أن تخلط بين التفاوض والمساومة:

أولًا: باختصار التفاوض عملية عقلية وأكثر احترامًا من المساومة؛ لأن التفاوض عملية يربح فيها الطرفان، أما المساومة فغالبًا ما تكون مساومة مالية يعلوها الإجحاف وظلم الغير؛ من بخس للسعر، أو تأخير في دفع الحق، أو استخدام أسلوب.. هذه أمام تلك وإلا..

وإليك بعض السمات التي يجب توفرها في المفاوض الماهر:

- أن يكون متحدثًا لبقًا، وفي توجيه الأسئلة.
- أن يتمتع بقدر عالٍ من الذكاء والفطنة.
- أن يتمتع بقدرة عالية على التصرف والتكيف مع المواقف المختلفة.
- أن يتمتع بسرعة البديهة.
- أن يتسم بالتوازن العاطفي.
- أن يتحلى بالصبر وضبط الأعصاب.
- أن يكون حسن المظهر.
- أن يتمتع بمهارة وقدرة عالية على الإقناع.
- أن تتوافر لديه مهارات عالية من الإنصات الجيد.
- أن تتوافر لديه مهارات الاتصال الفعال.
- أن يتمتع بدرجة عالية من الثقة

والاعتزاز بالنفس.

- أن يكون دبلوماسيًا.
- أن يتسم بالتوازن بين الروح المرحة والجدية.
- أن يكون ذا خبرة كافية في مجال التفاوض.
- أن يكون لديه خلفية كاملة حول قضية أو موضوع التفاوض.
- أن يكون لديه القدرة على العمل في ظل الضغوط النفسية المختلفة.
- أن يمتلك قوة الملاحظة.
- أن يجيد الاستخدام الفعَّال للوقت.
- أن تكون لديه مقدرة على الحكم الصائب على الأمور.

خطوات المفاوضة الناجحة:

«قبل جلسة التفاوض»:

- قم بجمع الحقائق وافصلها عن الافتراضات.
- حدد الأشياء التي تريد أن تبرزها وترغب أن تتفاوض عليها.
- اختر المكان والوقت المناسبين بعناية.

«أثناء جلسة التفاوض»:

- كن صبورًا ومتماسكًا.
- احترم الطرف الآخر إلى النهاية.
- انظر للأمور من وجهة نظر الطرف الآخر حتى تتعرف على مداخل جديدة للحوار معه.
- استخدم الخطوات العلمية لحل المشكلة.
- راقب بعناية وتحكم في تعبيراتك وكذلك لاحظ تعبيرات الطرف الآخر.
- حافظ على علاقات الود والاحترام بغض النظر عن حدوث اتفاق.
- حاول أن تتفهم مشكلات الآخرين، ولا تقلل من شأنهم فإن فهمك لمشكلتهم سيختصر لك وقتًا وجهدًا.

مقومات عملية التفاوض:

اعرف نفسك:

يجب أن تسأل نفسك مجموعة من الأسئلة عند دخولك في أي عملية تفاوضية مثل: ما هو شعورك عند التفاوض؟ هل تريد أن تنهي المفاوضات بسرعة؟ إذا كنت قلقًا فإن ذلك يمكن أن يجعلك تستسلم بسرعة أو تقدم تنازلات في غير وقتها.

إذن: اضبط نفسك وأشعرها بمكانتك بين الأقران لذا تم اختيارك لعملية التفاوض.

قم بأداء الواجب المنزلي:

لا يقتصر تحضيرك وأداؤك للواجب المنزلي على معرفة الأشخاص الذين ستقوم بالتفاوض معهم من حيث نمطهم التفاوضي، وتاريخهم، أو اسمهم الرنان، بل تشمل أيضًا نوعية المواد ومدى حاجة الطرف الآخر إلى الصفقة أو إلى إتمامها ودرجة المنافسة عليها...... إلخ.

مارس التفكير ثلاث مرات:

التفكير الأول: هو أن تفكر في الذي تريده من المتفاوض أو الطرف الثاني.

والتفكير الثاني: هو ما الذي يريده منك الطرف الآخر؟

والتفكير الثالث: هو ما الذي يفكر فيه المتفاوض الآخر كحل آخر إذا أغلقت الأبواب أمامه؟

بناء الثقة:

إن التفاوض شكل من أشكال الاتصال، وبدون الثقة لا يوجد اتصال ناجح؛ إذن كن صادقًا وأوفِ بعهودك وقل الحقيقة، وتذكر -كيما تزيد ثقتك في نفسك- «أن الصدق يهدي إلى البر؛ وأن البر يهدي إلى الجنة».

٥ - تنمية الاستماع الخارجي:

من السلبيات الموجودة في حواراتنا أنك تجد من بيننا -أثناء حديث الطرف الآخر- من تشغله نفسه، فيذهب بفكره يمنة ويسرة معربًا عما بداخله، ويغير نبرة صوته الداخلية، ويمثل مع نفسه دورين أحدهما مستمع والآخر متكلم، ولا يستمع إلى ما يقوله الطرف الآخر المفاوض فـ «مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» (الأحزاب: ٤)؛ ومن ثم فحاول أن تنصت للطرف الآخر، وتستمع إليه ونحِّ النداءات الداخلية جانبًا.

تحرك فيما وراء المواقف:

عند تفاوضك وحديثك للطرف الآخر حاول أن تظهر له الحقائق، واعمل على تعميق الثقة بينك وبينه، حتى يتيح لك أن تطرح بعض الأسئلة التي تفيدك في استكشاف حاجات واهتمامات الطرف الآخر، الأمر الذي يتيح لك توفر بدائل وحلول أُخر قد تحتاج إليها مستقبلًا.

تقييم قدرتك التفاوضية:

لا تفترض أن امتلاك الطرف الآخر لنوع معين من القوة التفاوضية أنه بذلك يمتلك كل مصادر القوة، إن هذا قد يؤدي إلى ضعفك أو تقليل قوتك أو التهوين من مصادر القوة المتاحة عندك؛ إنك إذا حاولت أن توازن بين القوتين الداخلة عندك والخارجة منه، فستكون أقوى لأنك تمتلك قوتين: أولاهما: الثقة بالنفس وتقدير الذات، والثانية: طريقة كلماتك المؤثرة الرنانة ونبرة صوتك عند طرح السؤال، فلا يمكن لأحد أن يسلبك هذه القوة.

تعرف على منطقة المكاسب:

يتعين عليك معرفة وتحديد أفضل وأسوأ السيناريوهات، فإن المسافة المتاحة بين الأسوأ والأفضل يطلق عليها منطقة الاتفاق، وهي تعني الوصول إلى المكاسب النسبية لكل من الطرفين.

وإليك بعض المبادئ الأساسية للتفاوض:

كن حازمًا في حلّ المشكلة، وحنونًا على الأشخاص.

ركِّز على الحاجات وليس المواقف.

ركِّز على نقاط الاتفاق.

كن مبدعًا ومبتكرًا عند بحثك عن بدائل الحلول.

اجعل الاتفاقيات واضحة.

ولعل من أهم النصائح في هذا الفن الاهتمام بـ:

استقراء لغة الجسد:

إن لغة الجسد هي المصطلح المستخدم لحركات اللاوعي الجسدية التي نقوم بها جميعًا لنقل الأفكار والمشاعر.

أما تفسير لغة الجسد بطريقة صحيحة فهو فن معقد، ولكنه من السهل علينا أن نتعلم قراءة الرسائل العريضة، فمثلًا: الحرص على أن يكون الفرد منشرحًا وأن يكون مظهره مسترخيًا، وكذلك الاتصال البصري الجيد.

كل ذلك علامات تدل على أن الفرد واثق بنفسه ومطمئن لما يدلي به وما يسمعه، أما المظهر المشدود، والأذرع المتقاطعة المضمومة وضعف الاتصال البصري، فكلها علامات تدل على المراوغة، والغضب الدفين، وعدم الاتفاق.

ويدل الميل للأمام عند الجلوس على الاهتمام والموافقة، في حين يدل الميل للوراء على اللامبالاة وعدم الاهتمام، وعلينا استقراء هذه الإشارات الصادرة منًّا أو من الآخرين.

إذا لم تطابق أقوالك حركات جسدك فإن الناس يصدقون حركات جسدك لا هدير كلماتك.

يمكنك أن تبدل من شعورك وذلك بالتغيير الواعي لحركات ولغة جسدك.

وللتدليل عما سبق نسوق لك نتائج إحدى الدراسات في هذا الشأن:

٥٥٪ من الانطباع الأولي تبنى على المظهر وطريقة الوقوف، أو الجلوس، أو المشي، وتعبيرات الوجه، وحركات الجسم، والاتصال البصري.

٣٨٪ من الانطباع الأولي تبني على نبرات الصوت.

٧٪ تبني على ما تتكلم به.

وللتفاوض أساليب تزيد على أربعين أسلوبًا، وليس المقام مقام سرد بل هي علامات وإشارات.. فقط أحيلكم إلى أساليب التفاوض من خلال كتاب: (المفاوض الناجح) للدكتور/ شوقي الغيطاني، فقد ذكر أكثر من خمسة وأربعين أسلوبًا.

فهذه نصيحتي لك تقبل الله منا ومنكم.

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحور بعد الكور

إعداد **د. عماد عيسى**

الْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ الدِّينَ والعملَ بِهِ لمرضاتِهِ أَتَمَّ وَسيلَةً، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَأَنْصَارِهِ وَحِزْبِهِ، وَبَعْدُ.

فعَقِيبَ انتهاءِ رمضانَ وانقضاءِ زمانه ومع كونِ مَراكِبِه قد شَارفَتْ بُلُوغ النهاية ترجع أكثر النفوس إلى ارتضاع ثُدِيِّ الهوى من بَعْد الفطَام منْ عادَاتها ومَأْلُوفَاتها، والرُّكون إلى الشَّهَوات، والإِخْلادِ إلى الأرض، والتَّثاقُل عن الطَّاعَة، والكَسَل عن العبَادة، والتّواني في التَّوبَة بَعد ما قَضَوْا أيامًا بالصّيام والقيام عامِرَة، وليالي بالاجْتِهاد ولذَّةِ العِبَادة غامرة.

وهذا هو الحَوْرُ بعد الكَوْر الذي تعوّذ النبيّ صلى الله عليه وسلم منه، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. (رواه مسلم: ١٣٤٣).

قال ابن الأثير: أَصْلُ الحَوْر الرُّجُوعُ إلَى النَّقْص.

وقال أيضًا: "نَعُوذُ بِاللَّه منَ الحَوْر بَعْدَ الكَوْر" أَيْ: منَ النُّقْصَان بَعْد الزِّيادة، وَقِيلَ: منَ فَسَاد أمورنا بَعْدَ صَلاحها، وَقِيلَ: منَ الرُّجُوع عَنِ الْجَمَاعَة بَعْد أَنْ كُنَّا مِنْهُمْ، وَأَصْلُهُ منْ نَقْض العِمَامة بَعْدَ لَفِّها. النهاية: ١/٤٥٨.

وفي بعض نسخ مسلم "وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْنِ".

قال ابن الأثير: "أَعُوذ بِكَ منَ الحَوْر بَعْدَ الكَوْن" الكَوْن: مَصْدَرُ "كَان" التامَّة. يُقَالُ: كَانَ يكونُ كَوْنًا: أَيْ وُجِدَ واسْتَقرّ: أَيْ أَعُوذُ بِكَ منَ النَّقْص بَعْدَ الوجُود والثَّبات. النهاية: ٤/٢١١. ومعنى ذلك أن الحور بعد الكور أشبه بنقض الغزل من بعد قوَّة أنكاثًا، فَمَا عَقَدهُ المرء وأَبْرَمَه من أَمْره رَجَع فَنَقَضَهُ وحَلَّه، وما بَنَاهُ عادَ فقَوَّضه وهَدَمَه.

وهذه بعضُ أسباب الحَوْر بعد الكَوْر، والنُّقْصَان عَقِب الزِّيَادَة، وحُصُول الفَسَاد بعد الصّلاح:

أولها: عدم ذوق حلاوة الطاعة:

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا" (رواه مسلم٣٤). فالطاعة لها طعمٌ، والعبادة لها لذَّةٌ، مَنْ ذاقَها هانَتْ عليْه نَفْسُه واسْتَمْرَأ التّعبَ فيها؛ لأَنّه يُؤمن أنَّ عاقبة الاجتهاد الرّاحة الأبديّة، كما قيل لبَعْض السّلَف: إلى كَمْ تُتْعبُ نَفْسَك؟ قال: راحَتَها أُريد. وطريقُ الرّاحة إلى العِبَادة والرَّغْبة فيها شاقٌّ لكراهيَة النَّفْس ذلك، والنّفس تُحبّ الرّاحة وتَميل إلى الكسل، ومُخالَفتها بكَثْرة العبادة والنشاط فيها، فلابُدَّ من الصّبر على ذلك، والتّصبُّر عليْه حتّى بُلوغ الغَرَض والوصُول إلى المأمول ورحم الله ابن القيم حين قال: من لم يُباشِرْ حَرَّ الهَجِير في طَلَبِ المَجْد لم يَقِلْ في

ظِلالِ الشَّرَف.

ثانيًا: إحسان الظن بالنفس:

من دعوات نبينا صلى الله عليه وسلم المأثورة عنه "اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي"، وعلم بعض أصحابه دعاءً فقال: "قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي". وهذه الأدعية تدل على خطورة شَرِّ النفس، ومن هنا لزمَ المَرْء أن لا يركَنَ إليها ولا يَرْضى عَنْها. إنّ مَنْ حَسُن ظنُّه بنَفْسه قَهَرَه الشّيطانُ ولعب به تلاعُبَ الصّبيان، أمّا من ساء ظنُّه بنفْسه فإنّ أمرَهُ لا يزالُ في ازْدياد لأنّه لا يُعْجَب بنفسه فهو عامل دائمًا على استصلاحها، وقد كان بعضُ السّلف يقوم اللّيل فإذا فترتْ نفسه من المجهود والتّعب جاء بسوْط وضربَ قدَمَيْه، وقال: "قُومي يا مأوى كلِّ سُوء، والله ما رضيتُك لله طَرْفة عَين"، أمّا من يُحسن الظنَّ بحاله وعمله فإنه قد يحبط العمل وهو لا يشعر وقد يكسل عنه لحرمانه التوفيق إليه.

ومنْ علامَاتِ الرّضا عن النَّفْس احْتقَار النّاس وازْدراؤُهم، والنّظَر إليْهم بشَيْء منَ الدُّون والقلّة، ومَنْ فَعَلَ ذلكَ اسْتَأْسَدَتْ عليْه نفْسُه فَخَسر صَفْقَة عَمَله ورَجَعَ مَغْبُونًا بخُفَّيْ حُنَيْن.

ثالثًا: وقوع العبد في المعاصي بعد إذ نجاه الله منها:

لا ينجو أحد من الإثم، ولا يخلو من المعصية، ولا يسلم من الخطيئة، عَنْ أَنَس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ" (رواه ابن ماجه ٤٢٥١)، لكن كل ذلك يكون عرضًا وطارئًا وليس على سبيل المعاندة والمجاهرة، بل هو إما لنزغ شيطان أو غلبة الهوى أو ضعف النفس، وإذا كانت المعصية لشي من هذه الثلاثة فالتوبةُ من قريب، والرجوعُ ليس ببعيد، أمّا الاشتغالُ بالذّنوب والإكثار منها فهذا مما يُعثّر العبد في سيره إلى الله تعالى.

وعلاجُ آفة الحور بعد الكور بما يلي:

أولاً: الشكر على الطاعة بالطاعة:

اعلم رحمنا الله جميعًا أن التوفيق إلى الطاعة هو أجل نعمة لأنه ميراث الجنات بالعمل الصالح قال تعالى: «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»؛ ولذلك يحتاج إلى شكر والتوفيق لشكر الطاعة يحتاج إلى شكر ثان وهكذا، وقد أمر الله بشكر نعمة المعونة على الصيام فقال تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» البقرة: ١٨٥.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: "أفلا أكون عبدًا شكورًا".

وقد فقه السلف ذلك فكان بعضهم إذا وُفّق لقيام ليلة من اللّيالي أصبح في نهاره صائمًا ويجعل صيامه شكرًا للتوفيق للقيام.

وكان وُهيْب بن الوَرْد يُسأل عن ثواب شيء من الأعْمَال كالطّواف ونحوه؟ فيقولُ: لا تسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا ما الذي على من وُفّق لهذا العمل من الشُّكر للتّوفيق والإعانة عليْه. (لطائف المعارف: ص ٢٢١).

ثانيًا: الدعاء بالمعونة على العبادة:

من صدق في دعائه وسؤاله القوة على الطاعة صدقه الله ورزَقَهُ حُبَّها بلْ حبَّبَ إليْه الإيمان وزَيَّنه في قلْبه وأكرَمَه بطَعْمه ووهَبَه حَلاوَتَه، فعن أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ

بِيَده، وَقَـالَ: "يَا مُعَاذُ، وَاللَّه إنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّه إنِّي لَأُحِبُّكَ"، فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. (رواه أبو داود: ١٥٢٢).

ومن تأمل هذا الحديث وأمعن النظر في تلك الوصية كفته وأغنته، فقوله عليه الصلاة والسلام: " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ" تصريح بأهمية الأمر ليعتني به؛ إذ لا تكون الوصية عادة إلا بالمهمات، وقوله عليه الصلاة والسلام: "لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ" تحذير ونهي عن ترك هذه الدعاء وأن يلزمه عقب كل صلاة فيدعو به كل يوم خمس مرات.

ثالثًا: الثبات على الطاعة:

المؤمن عمله دائم لا يتعلق بالمواسم فهو يعمل لنزول الموت به في أي لحظة ومن كان كذلك لا ينقضي عملُه حتى يأتيَه أجلُه.

قال الحسن: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ثم قرأ: «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الحجر:٩٩).

قال ابن رجب: "هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام كلها مقادير الآجال، ومواقيت الأعمال، ثم تنقضي سريعًا، وتمضي جميعًا، والذي أوجَدَها وابتدَعَها، وخصّها بالفضائل وأوْدَعَها باقٍ لا يزول، ودائمٌ لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيب مشاهد، فسبحان من قلّب عبادَه في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم يسبغ عليهم فيها فواضل النعم ويعاملهم بنهاية الجود والكرم" (لطائف المعارف: ص ٢٢٣).

وهذا واضح مع أدنى تأمل؛ فبقدوم شهر رجب ثم مجيء شعبان ثم دخول رمضان تجد الوظائف من الصيام والقيام والذكر والعبادة كثيرة وقد وعد الله بمغفرة الذنوب لمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، ثم تأتي أشهرُ الحجَّ: شوال وذو القعدة وذو الحجة وبها يخرج الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ثم يأتي شهر الله المحرم الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم" (رواه مسلم).

قال ابن رجب: "فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا والله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ولا يأمل إلا قربه ورضاه" (لطائف المعارف: ص ٢٢٣).

رابعًا: الندم على فوات الطاعات:

كلُّ ساعةٍ تَمْضي من عُمْرِ العَبْد لم يَرْبَحْ فيها ثوابًا فهي خسارة لأنه عُمرٌ مضى لم يقدّم فيه شيئًا لنَفْسه، وهو مُحَاسبٌ عليه يومَ القيامة ومَسْؤولٌ عَنْه وهذا سِرُّ النَّدَم على الفَوَات.

بل أعْجَبُ من ذلكَ نَدَمُ أهْلِ الجَنَّة على هَذه الأوْقاتِ الخَاليَة من الحَسَنَات قال صلى الله عليه وسلم: " لَيْسَ يَتَحَسّرُ أهْلُ الجَنَّة على شَيْء إلّا على سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لم يَذْكُروا الله عَزَّ وجَلّ فيها " (رواه الطبراني والبيهقي في الشعب، الصحيحة:٢١٩٧).

قال ابن رجب: "كلُّ وقتٍ يُخْليه العبْد من طاعَة مَوْلاهُ فقَدْ خَسِرَهُ، وكلُّ ساعةٍ يغْفُلُ فيها عن ذِكْرِ الله تكُونُ عليْه يوْمَ القيَامة تِرَةً، فوا أسَفَاهُ على زمانٍ ضاع في غير طاعته، وواحَسْرَتَاهُ على قَلْبٍ باتَ في غَيْرِ خِدْمَتِه". (لطائف المعارف: ص: ٢٢٣).

نسأل الله القبول ودوام العافية، والحمد لله رب العالمين.

الغايةُ العلية من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فالأخلاق الحميدة جزء أساس من الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهي جزء أساس كذلك من شرع الله وعبادته اللذين جاء بهما الإسلام، وتعبّدنا الله بهذه الأخلاق كما تعبّدنا بسائر العبادات، وفهمنا لهذه الأخلاق والتزامنا بها مرتبط بفهمنا والتزامنا لمعنى العبودية لله تعالى.

لذا امتن الله على البشرية بخير البرية صاحب الأخلاق العليّة والصفات الزكية لينهض بالأمة بمزيد من الأخلاق السوية فحدد صلى الله عليه وسلم الغاية العظمى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق». (الصحيحة: ٤٥).

ومما يدل على أن للأخلاق الحسنة مكانة عظيمة: أنَّ المؤمنين يتفاضلون في الإيمان، وأن أفضلهم فيه أحسنُهم خُلُقًا:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه رجلٌ من الأنصار، فَسَلَّمَ على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خُلُقًا». (ابن ماجه: ٢/١٤٢٣).

ومن ذلك أن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه يوم القيامة، وأكثرهم ظفرًا بحبه والقرب منه صلى الله عليه وسلم الذين حسنت أخلاقهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ من أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا». (صحيح الجامع: ٢٢٠١).

لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرغِّب في مكارم الأخلاق ويحثُّ عليها ويبين لهم فضلها.

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسن الخُلق عنوان كمال الإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا». (صحيح الترمذي: ١١٦٢).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ حُسْن الخُلُق من موجبات الجنة، سُئِل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسْنُ الخُلُق». (صحيح: الترمذي ٢٠٠٤).

قال ابن القيم رحمه الله: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحُسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلحُ ما بين العبد وربه، وحُسن الخلق يصلحُ ما بين العبد وبين خلقه، فتقوى الله توجبُ له محبة الله، وحُسن الخُلق يدعو الناس إلى محبته.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ حُسن الخلق يبلغ صاحبه درجة الصائم القائم، قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم». (صحيح أبي داود: ٤٧٩٨).

وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر». (صحيح الترغيب: ٢٦٤٤).

«درجة الصائم القائم»: أي: قائم الليل في الطاعة، وإنما أعطي صاحب الخُلق الحسن هذا الفضل العظيم لأنَّ الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما

من يحسن خُلُقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة. (عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٣/ ١٥٤).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ حُسن الخلق يرفع صاحبه أعلى درجات الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حُسن خُلُقُه». (صحيح أبي داود: ٤٨٠٠).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خُلقًا؛ فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت في مجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم وسمرة وأبو أمامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا». (صحيح الترغيب: ٢٦٥٣).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ خيار الناس أحاسنهم أخلاقًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا». (صحيح الترغيب: ٢٦٥١).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا؛ فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: مَنْ أحبُّ عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقًا». (صحيح الترغيب: ٢٦٥٢).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ خير ما أعطى الإنسان حُسن الخُلق؛ فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله، ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال: «حُسن الخُلُق». (البخاري في الأدب: ٢٩١).

ومما لا شك فيه أنَّ حُسن الخلق منَّة من الله يمنُّ به على مَن يشاء من عباده، قالَ اللهَ تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ » (آل عمران:١٥٩).

قال السعدي رحمه الله: «أي برحمة الله لك ولأصحابه منَّ اللهُ عليك فألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك، وترفقت لهم، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليه وأحبوك وامتثلوا أمرك، «وَلَوْ كُنتَ فَظًّا» (آل عمران:١٥٩) أي: سيئ الخلق، «غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ» (آل عمران:١٥٩) أي: قاسيهُ، «لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ» (آل عمران:١٥٩)؛ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام بهذا الخُلق السيئ.

فالأخلاقُ الحسنة تجذبُ الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخالص.

والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدِّين وتُبغضه إليهم، مع لصاحبه من الذم والعقاب الخالص. اهـ تفسير السعدي (١/ ٤٤٤).

ولحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى الله، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين، فإذا كان للشخص رصيدٌ طيب من حُسن الخُلق كانت دعوته أنفع وأنجع وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثَمَّ أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقُهُ صلى الله عليه وسلم في الحديث، فقال للمشركين: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً يخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. (البخاري: ٤٨٠١، ومسلم: ٢٠٨).

لذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بالحلال والحرام العالمَ الفقيهَ معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ فقال له صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، وأتبِع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلقٍ حَسَن». (صحيح الجامع: ٩٧).

فخيار المسلمين من حسُنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفاتُ فأولئك مع الأشرار، وإن كانوا يصلون ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرام الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخالص داعيةُ الصبر والكرم، والحج المبرور يُثمر خُلق الصبر، وحسن

العشْرة والمعونة، فبرهانُ الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرمُ الأخلاق، وآية التقصير فيها سوءها. (الأدب النبوي: ١٦٠).

فحسن الخلق عنوان قبول الأعمال، وسوء الخُلُق يحبط الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم: «وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يُفْسِد الخَلّ العسل». (صحيح الجامع: ١٧٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة». (صحيح الترغيب: ٢٥٦٠). معنى: «الأثوار» جمع ثور وهي القطعة من الأقط، ومعنى «الأقط» شيء يُتَّخَذ من مخيض اللبن الغنمي.

فديننا الحنيف لا ينظّم علاقة الإنسان بخالقه فقط، وإنما ينظم علاقة الإنسان بخالقه والناس أجمعين مؤمنين وكافرين، ويدعو الدِّين إلى أن يكون الإحسانُ هو أصل علاقة الإنسان بربه والناس أجمعين، قال الله تعالى: « لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ » (البقرة:١٧٧).

فما أحوجنا جميعًا أن نعيد النظر في أنفسنا أين نحن من مكارم الأخلاق؟ أين نحن من التأسي بنبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلُقه القرآن.

قال الحسن البصري رحمه الله: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا عِلْم لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفًا وقد -والله- أسقطه كله ما يُرَى القرآن له في خُلُق ولا عمل». (الزهد ص٢٧٦)، ما أحوجنا أن يُرى أثر القرآن في مكارم أخلاقنا مع الصغير والكبير، والقريب والبعيد.

«إن نهوض الأمة وصلاح المجتمع إنما يتحقق بالتخلِّي عن رذائل الأخلاق، والتحلي بفضائلها، وإن علاج أمراضنا الاجتماعية يتطلبُ إصلاحًا أخلاقيًّا يكفل الانسجام والائتلاف بين طبقات الأمة، ويوجِّهُ النفوس إلى الخير المفطور فيها، ويُخلصُ القلوب من أدران الحقد والأنانية، فجاهد نفسك أخي لاكتساب الأخلاق الفاضلة؛ فإن مَن يتطلع إلى معالي الأمور لا بد له أن يدفع ثمنها المناسب، ويسعى في تحصيلها، ومن ذلك استعراض ما في القرآن الكريم، فما وجدت فيه من أوامر وتوجيهات فخُذْ به، وما وجدت فيه من نواهٍ فابتعد عنه، لذا لما سئلت أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها عن خُلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت للسائل: «ألستَ تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خُلُق نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن». رواه مسلم.

والمعنى: فما حث القرآنُ الكريمُ على اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة إلا وتخلَّق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقرأ سيرة خير البرية فقد بلغ ذروة المثالية في كل أحوال البشرية، وكن مع الناس كالنحل الذي قع على أحسن الزهور وأطهر الزروع فيجتني منها ما يفيده، وما يخدم به الناس.

ومشكورًا غير مأمورًا ضع هذه الوصية النبوية بين نصب عينك لتسعد إن عملت بها وكنت من أهلها بخيري الدنيا والآخرة. قال صلى الله عليه وسلم: «مَن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤْتَى إليه». (مسلم).

وليكن أقل حظ المؤمن منك ثلاثٌ: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه».

اللهم حسِّن أخلاقنا، وجمِّل أفعالنا، اللهم كما حسَّنت خَلْقنا فَحَسِّن بمَنِّك أخلاقنا، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنها سيئها إلا أنت». آمين.

ماذا بعد رمضان؟ بين زوج متسلط وزوجة جاهلة

الحلقة الثانية

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بما خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرى منهج الصانع سبحانه؛ القيوم القائم على كل نفس بما كسبت.

وباتباع منهج الله سبحانه وتعالى لمن أراد تأسيس الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم فسيكون الأساس متينًا، والبناء متماسكًا مستقيمًا، والمجتمع قويًا راقيًا، يكفل للأسرة السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

ولقد انتهينا في العدد السابق من الحديث عن الزوج المتسلط وصفاته، وكيفية التعامل معه، إذا كانت الزوجة حكيمة حليمة، صبورة وقورة، أما إذا كانت الزوجة بدورها جاهلة أو عنيدة أو مستهترة ومستفزة، فبانتهاء فترة الحب اللاهب، والكلام المعسول، والحكايات والخيالات، والوعود البراقة، والتقاء الطباع التقاءً مباشرًا صباح مساء، فمع تسلط الزوج واستهتار الزوجة فإن الخطر سيتفاقم، والحياة ستسير كئيبة، وتنتقل من سيئ إلى أسوأ.

والمفروض أن ينظر كل من الزوجين- من كان منهما له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ومن خاف عذاب الآخرة- بم خرج من رمضان؟ وكيف أفاده الصيام؟ فإذا كان صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا فلا بد من ظهور أثر التقوى في القلب وعلى الجوارح.

وإذا كانت آداب الصوم ترك الرفث والفسوق والجهل، ومخاطبة الجاهلين بالسلام، بحيث إذا سابَّه أحد أو شتمه قال: إني صائم؛ مرتين. وإذا كان من آدابه أيضًا الإكثار من الصدقات؛ وإن من أعظم الصدقات التصدق بالمظالم على من ظلمك، إذا كان هذا كله من آثار الصوم، فكان لزامًا أن يخرج الإنسان من هذا الشهر الكريم شهر الله، بنفس راضية زكية، تعفو عن الزلة، وتقيل

العشرة، وتصبر على الجاهل، وتخاطبه بالسلام، والبر والإحسان.

ولقد أظهرت أحداث حدثت في السابقين من سلف هذه الأمة كيف كانوا يتصدقون بمظالم كانت لهم على غيرهم، فرفع الله شأنهم وتقبل منهم صالح أعمالهم.

قال الذهبي: قال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً أتــوا رســول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤون، وهم سبعة من الأنصار: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحمام بن الجموح، وعبد الله بن المغفل؛ وبعضهم يقول: عبد الله بن عمرو المزني؛ وهرم بن عبد الله، والعرباض بن سارية الفزاري. استحملوا رسول الله- صلى الله عليه وسلم (أي طلبوا منه دابة تحملهم للجهاد)، وكانوا أهل حاجة، فقال: «لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ» (التوبة:٩٢).

فبلغني أن يامين بن عمرو، لقي أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهم يبكيان فقال: ما يبكيكما؟ فقالا: جئنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج. فأعطاهما ناضحًا (بعيرًا أو فرسًا) له فارتحلاه وزودهما شيئًا من لبن.

وأما عُلبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض. ثم أصبح مع الناس فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "أين المتصدق هذه الليلة"؟ فلم يقم أحد، ثم قال: "أين المتصدق؟ فليقم". فقام إليه فأخبره، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: " أبشر، فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة" . تاريخ الإسلام للذهبي (٣٦٢/٢)، ورد مسندًا موصولا كما قال الحافظ في "الإصابة" "٤٩٣/٢". وصححه الألباني في فقه السيرة ص٤٠٥.

وإذا شاء الله تعالى أن نتأسى بهؤلاء الأخيار فإن على الزوج ابتداءً أن يكون مع امرأته ذا عشرة بالمعروف، كما أوصى الله تعالى بذلك في قوله جل وعلا: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا " (النساء: ١٩).

وقد تنشز الزوجة على زوجها ابتداءً، أو كرد فعل لتسلطه، قال السيوطي رحمه الله تعالى: "وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه، عن ابن عباس- «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ»- قال: تلك المرأة تنشزُ، وتستخف بحق زوجها، ولا تطيع أمره، فأمره الله أن يعظها ويذكرها بالله، ويعظم حقه عليها، فإن قبلت، وإلا هجرها في المضجع، ولا يكلمها من غير أن يذر نكاحها، وذلك عليها شديد، فإن رجعت، وإلا ضربها ضربًا غير مبرِّح، ولا يكسر لها عظمًا ولا يجرح بها جُرحًا".اهـ. "الدر المنثور" (١٠٩/٣). هذا إذا كان الزوج عاقلاً حكيمًا. أما في حالة ضعف عقله وصبره، وقلة حكمته وحيلته؛ فإنه مع كون زوجته مثله فإن خراب البيت صار وشيكًا.

كيف تتخلص المرأة من استهتارها؟

أولًا: سؤال أهل العلم:

كثير من مشاكل البيوت والأُسر منشؤها ومبدؤها من سوء التربية، ومن جهل الأبوين بالمسؤولية التي عليهما، والمسؤولية على أولادهما عند الزواج، وبدون شك فإن فاقد الشيء لا يعطيه، وبدون العلم لا يكون إلا الجهل، والجهل سبب الخراب في الديار والأعمار. ولا يُزال الجهل إلا بالعلم، والعلم لا يأتي إلا بالتعلم، وبذل الوقت والجهد لتعلم العلم الشرعي والمنهج الرباني، الذي شرعه الله تعالى لصلاح خلقه، وإصلاح أحوالهم، فإذا غاب العلم فلا محالة من حلول الجهل والفقر، والدمار والقتل.

قال الأوزاعي: بلغني أن عطاء بن أبي رباح، قال: إنه سمع ابن عباس، يخبر: أن رجلاً أصابه جرح في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أصابه احتلام، فأُمرَ بالاغتسال، فمات، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " قتلوه قتلهم الله، ألم يكن شفاء العِيّ السؤال". (أحمد

وأبـو داود والحاكم، ومـال الشيخ الألباني إلى تحسين الحديث بشواهده من رواية أبي داود، وقال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي)، والعي هو الجهل والتردد في الفهم والكلام وعد ضبطه.

وفي معالم السنن (١٠٤/١) عن جابر قال خرجنا في سفر فأصاب رجلاً معنا حجر فشجه في رأسه فاحتلم، فقال لأصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم، فقالوا لا نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغْتَسَلَ فمات. فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرناه بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال، إنمـا كان يكفيه أن يتيمم ويعصب- أو يُعصب، شك موسى- على جرحه خِرقة ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده».

ولذلك جاء في الحديث: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِم ".(صحيح) انظر حديث رقم: ٣٩١٣ في صحيح الجامع".

قال المناوي: وأجـود ما قيل في معنى العلم قول القاضي: ما لا مندوحة عن تعلمه كمعرفة الصانع، ونبوة رسله، وكيفية الصلاة ونحوها، فإن تعلمه فرض عين. فيض (٢٦٤/٤، ٢٦٧).

ثانيًا: عليها أن تعلم أن في طاعة زوجها عبودية لله تعالى:

ومما يُعين المـرأة على التخلص من صفة الاستهتار عندها أن تعتقد أن في طاعة زوجها إرضاء لله سبحانه وتعالى.

وسبيل لدخول الجنة، بل وبتخلف تلك الطاعة قد تدخل النار، وقد قال بَشِيرُ بْنُ يَسَار، أَنَّ حُصَيْنَ بْنَ مِحْصَن أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَمَّةً، لَهُ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهَا زَعَمَتْ، أَنَّهُ قَالَ لَهَا: " أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَزَعَمَتْ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟ فَقَالَتْ: مَا آلُوهُ إلا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ أَوْ نَارُكِ ". موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني (ص: ٣٣٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دخلت من أي أبـواب الجنة شاءت". صحيح ابن حبان (٤٧١/٩).

ثالثًا: تنزل الزوجة زوجها منزلته:

ففي الحديث الشريف: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: " قدم معاذ اليمن أو قال: الشام، فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فَرَوَّأَ (أي فكر) في نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يعظم، فلما قدم، قال: يا رسول الله رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فرأيت في نفسي أنك أحق أن تعظم، فقال:" لو كنت أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولا تؤدي المرأة حق الله عز وجل عليها كله حتى تؤدي حق زوجها عليها كله حتى ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب لأعطته إياه ". قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. أخرجه ابن ماجه (٢٩٢/١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "المرأة إذا تزوجت، كان زوجها أملك بها من أبويها، وطاعة زوجها عليها أوجب".

رابعًا: أن تكون خوافة من الله، وقافة عند حدوده:

ومثالها المرأة التي قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: " ولكني أكره الكفر في الإسلام".

عن ابن عباس، أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلُق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» صحيح البخاري ح٥٢٧٣.

وفي روايـة للبخاري أيضًا عن ابن عباس: صحيح البخاري ح٥٢٧٦. قالت: يا رسول الله، ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا أني أخاف الكفر».

فلابد إذن من تهدئة الأجـواء وتنقيتها بين الزوجين ألا يشوبها الكدر، وبتراجع كلا الزوجين قليلاً عما استقر في طباعه وبمراعاة شعور شريك حياته ستقوم الحياة وتتواصل السعادة، وتبحر السفينة إلى بر الأمان.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢٨)

قصة مفتراة في تفسير قوله تعالى:

«وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ» (المؤمنون:١٨)

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض كُتب التواريخ والملاحم والتفاسير؛ فاشتهرت على ألسنة القُصاص والوُعاظ لذلك أوردها الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢هـ في كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهرت من الأحاديث على ألسنة الناس» (٥٦٥/١) ط الفنون، حلب، وسنبين كتب السنة الأصلية التي أخرجتها عند التخريج.

٢- تذكر هذه القصة عند تفسير قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ» (المؤمنون:١٨)، فيجعلون هذه القصة المرفوعة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تفسيرًا لهذه الآية، ويجعلونها من التفسير بالمأثور، لذلك أوردها الإمام السيوطي في تفسيره المسمى «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٨/٥)، وسنبين كتب التفاسير التي ذكرتها وأخرجتها عند التخريج.

٣- تذكر هذه القصة في الفتن والملاحم؛ حيث جاء في متن هذه القصة ما يحدث عند خروج يأجوج ومأجوج، لذلك أوردها الحافظ ابن كثير في كتابه «النهاية في الفتن والملاحم» (٢٩٨/٢).

٤- تذكر هذه القصة عند ذكر تاريخ مصر وتاريخ النيل من البدء إلى النهاية؛ ولذلك أوردها الإمام السيوطي في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٣٤١/٢) من أجل هذه الأسباب نبين حقيقة هذه القصة.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين

واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، فذلك قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ» (المؤمنون:١٨)، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج: أرسل الله تعالى جبريل، فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: «وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ» (المؤمنون:١٨)، فإذا رُفعت هذه الأشياء من الأرض فَقَدَ أهلها خير الدين والدنيا». اهـ.

ثالثًا: التخريج:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥هـ في كتابه «الكامل» (٣١٣/٦) (١٧٩٩/١٧٨) قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن محمد بن عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا أبو الزبير محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن علي الخشني، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنزل الله عز وجل من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار...» القصة.

٢- وأخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ «تاريخ بغداد» (١/٥٧-٥٨) قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن علي بن المنذر القاضي، وأبو القاسم علي بن محمد بن علي بن يعقوب الأيادي: حدثنا، وقالا: أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، قال: نبأنا محمد بن إسماعيل السلمي، قال: نبأنا سعيد بن سابق- زاد ابن المنذر، وابن شاذان- أبو عثمان من أهل رشيد. ثم اتفقوا. قال: حدثني مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار...» القصة.

٣- وأخرج الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي القرطبي المقرئ وعُرِفَ بالداني لسكناه بدانية المتوفى بها سنة ٤٤٤هـ في كتابه «السنن الواردة في الفتن» (١٢١٧/٦) (ح٦٧٧) قال: حدثنا عن القاسم بن جعفر الهاشمي، قال: حدثنا علي بن إسحاق المارداني، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا سعيد بن سابق قال: حدثنا مسلمة بن علي به.

٤- وأخرجه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري في كتابه «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» (٢٨٧/٣) (ح٦٤٦) قال: «أخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين النقيب، أخبرنا جدي، أخبرنا محمد بن الحسين البزار، أخبرنا عثمان بن سعيد، أخبرنا سعيد بن سابق، أخبرنا مسلمة به».

٥- وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي كما في «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» للإمام ابن القيم، ط دار الكتب العلمية ببيروت، (ص١٢٥)، قال عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن علي به.

٦- وذكره أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المتوفى ٣٣٨هـ في كتابه «معاني القرآن» (٤٥٠/٤) قال: «قرئ على أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس عن جامع بن سوادة قال: حدثنا سعيد بن سابق قال: حدثنا مسلمة بن علي به».

٧- ونقله عن أبي جعفر النحاس الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٤٢٢/٦) قال: ذكر النحاس قرئ على أبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يونس به.

٨- ونقل أيضًا الإمام القرطبي

في كتابه «التذكرة» (ص٥٢٤) عن أبي جعفر النحاس بسنده عن ابن عباس مرفوعًا الخبر الذي جاءت به القصة.

٩- وأخرجه الإمام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ في كتابه «المنتقى من مسموعات مرو» من (٤١٧) (ح٩٥٩) قال: «أخبرنا أبو الطاهر محمد بن الحسن، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا».

١١- وذكره الحافظ ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم» (٢/٢٩٨) ناقلاً سنده من الضياء المقدسي إلى ابن عباس مرفوعًا.

١٢- وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١/١٥٩) قال: أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي عن سلمة بن علي به.

١٣- وأخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/٣٤) قال: أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس، قال: حدثنا رجاء بن عبد الرحيم الهروي أبو المضاء، قال: حدثنا سعيد بن سابق الأزرق، قال: حدثني مسلمة بن علي عن مقاتل ابن حيان، عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا.

١٤- وذكر الخبر الذي جاءت به القصة الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ في تفسيره المسمى «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير» (٢/٥٧٤) عن ابن عباس مرفوعًا.

١٥- وذكر الخبر الإمام أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٨٢هـ في تفسيره المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز» (٦/١٢٨).

١٦- وذكر الخبر أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي في تفسيره المسمى «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» (٣/٢٤٥).

١٧- وذكر الخبر أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري المتوفى سنة ٦٠٦هـ في تفسيره المسمى «مفاتيح الغيب» (٢٣/٢٦٨) عن ابن عباس مرفوعًا.

١٨- وذكر الخبر الذي جاءت به القصة أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفى سنة ٧٧٥هـ في كتابه «اللباب في علوم الكتاب» (١٤/١٨٧-١٨٨) عن ابن عباس مرفوعًا.

١٩- وذكر الخبر أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ في تفسيره المسمى «البحر المحيط في التفسير» (٧/٥٥٤) عن ابن عباس مرفوعًا.

٢٠- وذكره الإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ في «تفسيره» المسمى «فتح القدير» (٣/٥٦٨) وعزاه لابن مردويه، والخطيب عن ابن عباس مرفوعًا: «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار...» القصة.

رابعًا: التحقيق:

١- مما ذكرناه من كتب السنة التي أخرجت الخبر الذي جاءت به هذه القصة، وكذلك كتب التفاسير التي أخرجت هذه القصة يتبين أن القصة قد انتشرت واشتهرت ولا بد من تحقيقها.

٢- عدم تأكد بعض المفسرين الذين لهم مكانتهم في التفسير من صحة الخبر الذي جاءت به القصة وذكروه في تفاسيرهم ولقد بينوا ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أ- ذكر الخبر الذي جاءت به القصة الإمام الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٥هـ في تفسيره المسمى «الجواهر الحسان في تفسير

القرآن» (١٤٥/٤) قال: «وأسند أبو بكر الخطيب في أول تاريخ بغداد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار...» القصة.

ثم قال: «فإن صح هذا الخبر فلا نظر لأحد معه». اهـ.

قلتُ: ما ذكره الثعالبي رحمه الله بيان لمنهجه في اتباع النص إن صح وهذا يحتم علينا تحقيقه، حيث إنه عزاه للخطيب وقال: «وأسند أبو بكر الخطيب في أول تاريخ بغداد»، والقاعدة: «من أسند فقد أحال».

ب- وذكر الخبر الذي جاء به القصة القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي المتوفى ٥٤٣هـ في كتابه «أحكام القرآن» (٣١٩/٣) وقال: روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار...» القصة.

ثم قال: «وهذا جائز في قدرة الله إن صحت به الرواية». اهـ.

قلتُ: انظر إلى منهج القاضي ابن العربي (إن صحت الرواية)، وهذا يحتم علينا أيضًا التحقيق لبيان صحة الرواية.

خامسًا: التحقيق:

١-الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية غريب، قال الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (٢٩٨/٢): «هذا حديث غريب جدًّا، بل منكر، ومسلمة بن علي ضعيف الحديث عند الأئمة».

قلتُ: والحديث غريب حيث تبين من التخريج الذي ذكرناه آنفًا من كتب السنة الأصلية والتفاسير أن الحديث انفرد به مسلمة بن علي الخشني عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعًا.

٢- قول الإمام ابن كثير: «هذا حديث غريب جدًّا». يبينه الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢): قال أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء».

وروى ابن عدي عن أبي يوسف قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب».

٣- قول الإمام ابن كثير: «ومسلمة بن علي ضعيف الحديث عند الأئمة». اهـ.

قلتُ: وهذا بيان درجة ضعفه عند الأئمة:

أ- قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٨٨/١/٤): «مسلمة بن علي أبو سعيد الشامي الخشني منكر الحديث».

قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين ففي الميزان للذهبي (٥/١): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

ب- وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٣١٣/٦) عن يحيى بن معين قال: «ليس بشيء». اهـ.

جـ- وقال ابن عدي بعد أن أخرج حديث القصة: «هذا الحديث غير محفوظ بل هو منكر المتن». ثم قال: «كل أحاديث مسلمة ما ذكرته وما لم أذكره كلها أو عامتها غير محفوظة».

د- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٥٢٦/١٠٩/٤): «مسلمة بن علي الخشني شامي واهٍ، تركوه، قال دحيم: ليس بشيء، وقال: أبو حاتم لا يشتغل به، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك». اهـ. ثم ذكر له ثلاث عشرة حديثًا منكرًا.

هـ- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٣/٣): مسلمة بن علي الخشني، كان ممن يقلب الأسانيد، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم توهمًا، فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به». اهـ.

وبهذا تصبح القصة واهية والخبر الذي جاءت به موضوع.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٥٦)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

اتفاق كلمة أهل السنة من المتكلمة وأئمة الاعتقاد على: إبطال تأويلات الأشاعرة لصفات (النزول والمجيء والإتيان) بحق الله تعالى

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فعلى نحو ما اجتمعت كلمة الفقهاء وأصحاب الحديث على بطلان ما جنح إليه الأشاعرة من تأويل صفات: (النزول والمجيء والإتيان)، اجتمعت كذلك كلمة أهل الاعتقاد والمتكلمة من أئمة أهل السنة دون أهل البدع والضلال.

أ- أئمة الاعتقاد: ابن خزيمة، والآجري، والعكبري يبطلون تأويلات الأشاعرة

ففي كتابه (التوحيد) ص١٥٣ وفي تحقيق صفة النزول لله وتحت عنوان: (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة)، يقول الإمام الحافظ ابن خزيمة (ت٣١١): "نشهد شهادةَ مقرٍّ بلسانه مصدقٍ بقلبه مستيقنٍ: بما في هٰذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غيرِ أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمَنا أنه ينزل، وأن الله لم يترك ولا نبيه بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح: أن الله فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل"، كذا بما يكشف عن فهم السلف لمعنى صفة النزول، وأنه ما دل عليه ظاهر اللغة من كونه من أعلى إلى أسفل على الوجه اللائق بجلاله، وبما يقتضي أنه تعالى فوق سماواته مستو على عرشه، وأنهم إنما ينفون الكيفية عن كل ذلك.. ثم ذكر رحمه الله الأحاديث في هذا.

وفي كتابه (الشريعة) وتحت (باب: الإيمان والتصديق بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة) ص٢٩٤، يقول الإمام المحدث القدوة إمام الحرم محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠): "الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟؛ ولا يَـرُدُّ هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا

كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عنه صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة)، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قَبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنَن، وقالوا: (من ردها فهو ضال خبيث)، يحْذرونه ويحذرون منه"ا.هـ

ولعبيد الله العكبري المعروف بابن بطة (ت٣٨٤) قوله في الإبانة ٢٣٩/٣، رادًا على مؤولة صفة النزول لله تعالى: "يقول المعطل: (إن قلنا ينزل فقد قلنا إنه يزول، والله لا يزول، ولو كان ينزل لزال لأن كل نازل زائل)، قلنا: (أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين؟، فقد صرتم بهذه المقالة إلى أقبح التشبيه وأشد الخلاف، لأنكم إن جحدتم الآثار وكذبتم بالحديث، رددتم على رسول الله قوله وكذبتم خبره، وإن قلتم لا ينزل إلا بزوال، فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان، لكن نصدق نبينا كما قال: ينزل ربنا، ولا نقول إنه يزول، بل ينزل كيف شاء، ولا نصف نزوله ولا نَحدُه ولا نقول: إن نزوله زواله"ا.هـ

وقد سبق أن ذكرنا للإمام عبد الله بن خلف المقري الأندلسي - فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٥٥ - استدلاله بحديث النزول على استوائه تعالى، ثم قوله في نفي الجسمية والتكييف عنهما: "قد قال الله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/٢٢)، وليس مجيئه حركة ولا زوالًا ولا ابتدالًا، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرَض، لم يجب أن يكون مجيئُه حركة ولا نقلًا، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: (جاءت فلانًا قيامتُه)، و(جاءه الموتُ)، و(جاءه المرضُ)، وشبه ذلك مما هو وجود نازل به لا مجيء، لبانَ لك"ا.هـ

ب- وابن منده، والصابوني، والبيهقي يفعلون الشيء ذاته فيثبتون نزوله تعالى:

ومما ذكره الحافظ العلامة ابن منده (ت٣٩٥) في كتابه التوحيد ص٢٥٥، قوله تحت عنوان: (ذكر نزول الرب يوم القيامة لفصل القضاء): "كذلك نقول فيما تقدم من هذه الأخبار في الصفات في كتابنا هذا، نرويها عن الصحابة عن المصطفى، ونجهِّل من تكلم فيها إلا ببيان عن الرسول، أو خبر صحابي حضر التنزيل والبيان، ونتبرأ إلى الله مما يخالف القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه سلم".

وفي سوقه إجماع أهل الحديث على حمل صفات (النزول، والمجيء، والإتيان) لله تعالى على ظاهرها وعلى الوجه اللائق به، وإبَان رده على من تأولها أو كيَّفها، يقول شيخ الإسلام الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني (ت٤٤٩) في كتابه: (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ص٣٤: "ويُثبت أصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله وينتهون فيه إليه، ويُمرُّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكِلون علمه إلى اللّه، وكذلك يثبتون ما أنزله اللّه في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة/٢١٠)، وقوله: (وجاء ربك والملك صفًا صفًا) (الفجر/٢٢)".

قال: وقد "قرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول، وقد قال الله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) (البقرة/٢١٠) وقال: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/٢٢)، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك لفعل، فانتَهينا إلى ما أحكمه، وكَففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أُمرنا به في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) (آل عمران/٧)"..

إلى أن قال: "وقال بعض السلف: (ينزل نزولًا

يليق بالربوبية بلا كيف، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بل بالتجلي والتملي، لأنه جل جلاله منزّه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزهًا أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيف)".

وقال: "فلما صح خبر النزول عن الرسول أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله صلى الله عليه وسلم، ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبِّهة والمعطلة علوا كبيرًا، ولعنهم لعنًا كثيرًا"، وقال:

"وقرأت لأبي عبد الله ابن أبي جعفر البخاري، وكان شيخ بُخارَى في عصره بلا مدافعة، قال أبو عبد الله: سمعت عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة: قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول الله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/٢٢)، قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفًا صفًا، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى لذاك؟، ولا ندري كيفية مجيئه، فقلت لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف مجيئه، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيت من أنكر أن الملك يجيء صفًا صفًا ما هو عندكم؟، قالوا: كافر مكذب، قلت: فكذلك إن أنكر أن الله لا يجيء فهو كافر مكذب"ا.هـ..

يعني: لأنه مكذب وجاحد لما في القرآن.

وما نقله الصابوني عن جمهور أهل السنة لاسيما ما ذكره عن حماد بن أبي حنيفة: صريح في أن نزوله تعالى المذكور في الصحيح ومجيئه الوارد في الآية، هو: النزول الحقيقي والمجيء المعروف في اللغة الذي من أصل معناه: المجيء المضاف إلى الملائكة، مع التباين في الحقيقة والكيفية، إذ ليس كمثل نزوله تعالى نزول شيء، ولا مثل مجيئه مجيء شيء.

ومما ذكره الإمام البيهقي (ت٤٥٨) بحق صفة النزول لله تعالى: قوله في (الأسماء والصفات) ص١٥٣: "لا يجوز وصفه تعالى إلا بما دل عليه كتاب الله أو سنة رسول الله أو أجمع عليه سلف الأمة"، ثم ذكر من ذلك: "الوجه، واليدين، والعين، والاستواء على العرش، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك من صفات فعله"، وعقَّب يقول: "فتثبتُ هذه الصفات لورود الخبر بها على وجه لا يوجب التشبيه، ونعتقد في صفات ذاته أنها لم تزل موجودة بذاته، ولا تزال موجودة به، ولا نقول فيها: (إنها هو ولا غيره، ولا هو هي ولا غيرها).. ونعتقد في صفات فعله أنها بائنة عنه سبحانه، ولا يحتاج في فعله إلى مباشرة (إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (يس/٨٢)"ا.هـ.

كما نص البيهقي في كتابه (الاعتقاد) ص٩٣ -بعد أن أجمل ما سبق أن ذكره في كتاب (الأسماء) من قول أصحاب الحديث في تلك الصفات المذكورة آنفًا- نص على أنه "يجب أن يُعلم أن استواء الله ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، ولكنه مستو على عرشه كما أخبر، بلا كيف، بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه تعالى ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هي أوصاف جاء به التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف، فقد قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) (الشورى/١١)، وقال: (وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ) (الإخلاص/٤)"، فكان أن أثبت صفات الخبر والفعل لله بعد أن نفى عنها التأويل والتشبيه بالحوادث، وقد مثَّل هذا الذي أفصح عنه: مذهبه الذي وافق فيه مذهب سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

جـ-والإمامان (الجويني) و(أبو المعالي) يتراجعان عن تأويلات الأشاعرة، ويثبتان: نزوله تعالى ومجيئه وإتيانه:

وفي نصيحة الإمام الجويني (ت٤٣٨) التي سبق أن ذكرناها له غير ما مرة، والتي جاء

فيها ما نصه: "ليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!!.. فما يُلزموننا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء.. ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفَى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف، وهذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك، جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأوّلناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية" ا.هـ من الرسالة المنيرية ١/١٨٣.

أقول: في نصيحته الجويني تلك -والتي تمخضت عن تجربةٍ مرّ بها كان إبّانها يقول بتأويل الصفات الخبرية والفعلية- خير ردٍّ وأفصح جواب على ما جنح إليه الأشاعرة في تأويلاتهم الباطلة، بحيث لم يعد -لجلائها ونصاعتها- ثمة حجة لمحتج، لاسيما وقد أتْبع -رحمه الله- ذلك بقوله: "وإذا ظهر ذلك وبان، انجلت مسألة الصفات من النزول، واليد، والوجه وأمثالها.. وأنها تساق مساق مسألة (العلو)، فلا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فتنزُّله كما يليق بجلاله وبعظمته، ويداه كما تليق بجلاله وعظمته، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته"، وهكذا.

والشيء بالشيء يذكر، فلقد رجع ابنه أبو المعالي إمام الحرمين ت٤٧٨ هو الآخر، عن تأويلات الأشاعرة في صفات (النزول والمجيء والإتيان) وغيرها، وذلك بعد أن كان يتقلب ويتخبط في ظلمات وجهالات تأويلها على ما نص عليه في كتابه (الإرشاد) ص٦٩ بقوله: "ومما يُسأل عنه قوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا) (الفجر/٢٢)، وكذلك قوله: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة/٢١٠)، وليس المعنيُّ بالمجيء: الانتقال والزوال، بل المعنيُّ بقوله (وجاء ربك): أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل.. كما لا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشَغْل غيره، فإن ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام.. وإنما الوجه: حمل النزول وإن كان مضافًا إلى الله، على نزول ملائكته المقربين.. ومما يتجه في تأويل الحديث: أن يُحمل (النزول) على إسباغ الله نعماءه على عباده"، إلى آخر هذا السيل من التحريف والتعطيل.

لقد رجع أبو المعالي عن ذلك كله، وجعل يسجل تراجعه في (الرسالة النظامية) ويقول فيما يقول: "ذهب أئمة السلف عن الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا، اتباع سلف الأمة، فالأولى: الاتباع وترك الابتداع، والدليل القاطع السمعي في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة.. وقد درج صحب النبي على ترك التعرض لمعانيها -يعني: التي كان يقول به الجهمية والتي كان هو يقول بها قبلُ- ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسُوغًا ومحتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعًا، وأنه الوجه المتبع بحق"، ثم قال: "فلتُجرَ آية الاستواء والمجيء.. وما صح من أخبار الرسول عليه السلام كخبر النزول وغيره على ذلك، فهذا بيان ما يجب لله تعالى"..

فهل نجد في هذين العَالِمْين العاملَين -وأمثالهما كثير- قدوة للأشاعرة، فيرجعوا إلى الحق كما رجعا؟..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

الأحداث الهامة في تاريخ الأمة

الحلقة الأولى

وقفات مع غزوة أحد

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون. والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فحديثنا اليوم حول غزوة أُحُد وما أدراك ما أحد؟! إنها غزوة اجتمع فيها ما يحبه المؤمنون بجانب ما يكرهون، وبرز فيها النفاق في أحطّ صوره، وتجلت فيها صور الإيمان الصادق حيثَ تتمكن بشاشته من القلوب.

غزوة أحد التي وقعت في العام الثالث الهجري، وفي شهر شوال بالتحديد بعد غزوة بدر بعام واحد، جاء المشركون بخيلهم ورَجْلهم، برجالهم ونسائهم في ثلاثة آلاف مقاتل حتى يثأروا لما أصابهم في بدر.

وخرج المسلمون للدفاع عن دينهم وعن أنفسهم وعن مدينتهم، والتقى الجمعان حول جبل أحد على مشارف المدينة النبوية، وكان حول النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر ألف جندي من المهاجرين والأنصار، رجع منهم ثلاثمائة من المنافقين مع ابن سلول بعدما وصلوا إلى ميدان المعركة، وكان لهذا أثره السيئ على نفوس البعض قبل بدء المعركة، وبقي سبعمائة مقاتل خاض بهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا اللقاء، ودارت المعركة، وحديثنا بعون الله سينتظم في النقاط التالية:

الأولى: نظرة عامة عن حديث القرآن عن أحد:

أطال القرآن الكريم النَّفَس في الحديث عن غزوة أحد، وحين يتحدث القرآن فهو حديث علام الغيوب الذي يكشف بواطن الأمور فضلاً عن ظواهرها، ويكشف مكامن القلوب، وهذا الذي يتميز به القرآن عن غيره من الحديث كما أنه باقٍ إلى قيام الساعة يذكر المسلمين في كل زمان ومكان أنه ما من خير أو شر يقع في الأرض أو في النفوس إلا في كتاب فلا يقع إلا بعلم الله وبحكمته التي تخفى على كثير من الناس. قال تعالى: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد: ٢٢-٢٣). وعلى ذلك فلله على عباده عبودية في السراء كما له عبودية في الضراء، وأن حكمة الله قضت أن ما يصيب الناس من خير فهو برحمة الله وفضله، وأن ما يصيبهم من شر فهو من أنفسهم وهو بعدل الله؛ فالجزاء من جنس العمل.

الوقفة الثانية: ما أصاب المسلمين في أُحُد هو بسبب مخالفتهم:

قال تعالى: (أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ١٦٥)، في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن نعمة الله على المؤمنين بنصرهم يوم بدر وقتلهم سبعين من المشركين وأسرهم مثلهم،

ولذلك جمع الله في الحديث القرآني بين غزوتي بدر وأحد ليذكر المؤمنين بنعمة الله عليهم في بدر ثم ذكرهم بما غفلوا عنه أن ما وقع في أحد بسبب معصيتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمقصود هنا مخالفة الرماة لأمر رسول الله حين تركوا مواقعهم قبل أن يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالفوا أمر قائدهم عبدالله بن جبير الذي ذكرهم بوصية رسول الله لهم بعدم ترك مواقعهم مهما يكن من أمر.

وقد فصلت الآيات هذا الموقف في مكان آخر حيث قال -سبحانه-: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٥٢)، تتحدث الآية هنا عن انتصار المسلمين في أول المعركة حين استبسلوا في قتال بطولي سجل فيه أبطال الإسلام صورًا رائعة في البطولة والشجاعة وسجل التاريخ روائع بطولات حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وأبو دجانة وأبو طلحة الأنصاري وسعد بن أبي وقاص ونسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنهم جميعًا وغيرهم كثير، وحقق المسلمون النصر بفضل الله ورحمته.

روى البخاري رقم ٣٠٣٩ في كتاب الجهاد: (أن الرماة لما رأوا الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم ذلك إلى ترك مواقعهم ظنًا منهم أن المعركة قد انتهت، فقالوا لأميرهم عبدالله بن جبير: الغنيمة الغنيمةَ ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة).

الوقفة الثالثة: ما ترتب على هذه المخالفة:

هذه المخالفة التي وقعت من عدد يسير من الرماة ماذا ترتب عليها؟

ذكر أحمد في مسنده برقم ٢٦٠٨: (ثم انطلقوا ولم يعبؤوا بقول أميرهم، ووصف ابن عباس-رضي الله عنهما- حالة الرماة في ذلك الموقف فقال: فلما غنم النبي - صلى الله عليه وسلم- وأباحوا عسكر المشركين، أكبّ الرماة جميعا فدخلوا في المعسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب الرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فهم كذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا، فلما ترك الرماة تلك الثغرة التي كانوا فيها دخل المشركون من ذلك الموضع على أصحاب النبي فاضطربت صفوفهم فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا وقُتل من المسلمين ناس كثير)هـ.

تأمل أخي القارئ كيف أدى ترك الرماة لمواقعهم وتركهم للثغرة التي كانوا عليها فاستطاع العدو أن ينفذ منها ويلتف حول المسلمين من الخلف مما أدى إلى اضطراب صفوف المسلمين، وتمكن المشركون من إعمال القتل في المسلمين بعد أن فقد المسلمون مواقعهم الأولى، وأخذوا يقاتلون بدون تخطيط متفرقين بل فقدوا التمييز بينهم وصار بعضهم يقتل بعضًا واختلط الحابل بالنابل، وفقد المسلمون اتصالهم بالنبي - صلى الله عليه وسلم- بل أشيع أنه قد قتل، واشتدت حرارة القتال وصار المشركون يقتلون كل من يلقون من المسلمين، واستطاعوا كذلك الخلوص قريبًا من النبي -صلى الله عليه وسلم- وقذفوه بحجر كسر أنفه الشريف واحدى أسنانه الأمامية، وشجّ وجهه الكريم، وانفجر الدم منه صلى الله عليه وسلم.

وحمل ابن قمئة على مصعب بن عمير -رضي الله عنه- حيث كان شديد الشَّبَه بالنبي صلى الله عليه وسلم فقتله وقال لقريش: إنه قتل محمدًا، وشاع الأمر فازداد اضطراب المسلمين وتفرُّقهم، ورجع بعضهم إلى المدينة، وانطلقت طائفة منهم فوق الجبل فاختلط على الصحابة الأمر فما يدرون كيف يفعلون من هول الفاجعة، بينما ثبت آخرون من أمثال أنس بن النضر الذي مر على قوم ممن أذهلتهم الشائعة وألقوا بسلاحهم، فقال لهم: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل، فقوموا وموتوا على ما مات عليه محمد-صلى الله عليه وسلم- وقال: (اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء-يعني المسلمين- وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء -من المشركين- ثم لقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد، ثم ألقى بنفسه في أتون المعركة وقاتل حتى قتل فوجدوا فيه بضعًا وثمانين ما بين ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم، فلم تعرفه إلا أخته ببنانه). (انظر: غزوة أحد في السيرة النبوية).

فهذا الذي رأيناه وما وصل إليه حال المسلمين في أحد وما أصابهم من هم وغم كان بسبب مخالفتهم وشؤم معصيتهم ومخالفة الرماة لأمر النبي وتقديم آرائهم على توجيهاته وأمره، وغلب حب الدنيا عليهم، فتأمل كيف وصل بهم الحال بعد أن كانت لهم الصولة والجولة على المشركين في أول الأمر، وهذا الذي صرحت به الآية الكريمة (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) يعني النصر على العدو في أول الأمر والسبب (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة).

قال الإمام الطبري في قوله سبحانه (منكم من يريد الدنيا) بعض الغنيمة، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه- ما كنت أظن أن أحدًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يريد الدنيا حتى نزلت فينا يوم أُحُد (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ).

الوقفة الرابعة: مع قوله تعالى: (ثم صرفكم عنهم):

قال تعالى (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ). قال القاسمي: (رحمه الله) في تفسيره: أي كفَّكم عن المشركين حتى حالت الحال ودالت الدولة. وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى (ليبتليكم) أي: ليجعل ذلك محنة عليكم لتتوبوا إلى الله وترجعوا إليه، وتستغفروه فيما خالفتم فيه أمره ومِلْتم للغنيمة، ثم أعلمهم أنه سبحانه وتعالى عفا عنهم تفضلاً عليهم لإيمانهم (وَاللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أي: في الأحوال كلها، إما بالنصرة أو بالابتلاء فإن الابتلاء فضل ولطف خفي ليتدربوا بالصبر على الشدائد، والثبات في المواطن وليتمكنوا من اليقين ويجعلوه ملكة لهم، ويتحققوا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)هـ. مختصرًا

الوقفة الخامسة: ثبات النبي صلى الله عليه وسلم:

ومع ما حدث من اضطراب بين صفوف المسلمين وهجوم المشركين المعاكس وكانوا يريدون منه القضاء على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد ثبت الرسول في مكانه ثبات الصخر والمسلمون حوله، وقد ثبت منهم بالتحديد تسعة من أصحابه، منهم سبعة من الأنصار واستبسلوا في الدفاع عنه-صلى الله عليه وسلم- واستشهدوا واحدًا بعد الآخر، ثم قاتل عنه طلحة بن عبيد الله حتى أثخنته الجراح وأصيب بسهم فشُلَت يمينه كما أورده البخاري في صحيحه (وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وكان يناوله النبال ويقول له: ارم سعد فداك أبي وأمي) (صحيح السيرة النبوية).

كما قاتل بين يديه أبو طلحة الأنصاري الذي كان من أشهر الرماة وهو الذي قال عنه النبي: (لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة) (المسند مع الفتح الرباني: ٥٨٩/٢٢).

وجاء في البداية والنهاية أن نسيبة بنت كعب وقفت تَذُبُّ عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بالسيف وترمي بالقوس وأصيبت بجراح كبيرة، كما تترس أبو دجانة دون الرسول-صلى الله عليه وسلم- يحميه ببدنه يقع النبل في ظهره حتى كثر النبل وهو واقف لا يتزحزح يحمي رسول الله، والتف حول الرسول-صلى الله عليه وسلم- في هذه اللحظات العصيبة أبو بكر رضي الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح، وقام ينزع السهمين من وجه النبي-صلى الله عليه وسلم- بأسنانه، ثم تواردت مجموعة من الأبطال الكرام من الصحابة حتى بلغوا قرابة الثلاثين يَزُودُون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قتادة وثابت بن الدحداح وسهل بن حنيف وعمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام.

واستطاع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يرد هجومًا مضادًّا قام به المشركون بقيادة خالد بن الوليد قبل إسلامه، واستبسل الصحابة الذين كانوا مع عمر في رد الهجوم العنيف، وعاد المسلمون فسيطروا على الموقف من جديد ويئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم وتعبوا من طولها ومن جلادة المسلمين، وانسحب النبي بمن معه ومن لحقه من أصحابه إلى أحد شعاب جبل أُحُد، وكان المسلمون في حالة من الألم والحزن والخوف والغم لما أصاب رسول الله وأصابهم حتى أنزل الله عليهم الأمنة نعاسًا فناموا يسيرًا، ثم أفاقوا مطمئنين آمنين، قال تعالى: (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ) (آل عمران: ١٥٤).

هذا ومازلنا في بداية المعركة والعبرة بالخواتيم، فإلى لقاء قريب إن شاء الله.

فتح الرحمن في أحكام سجدة تلاوة القرآن

إعداد محمد عبد العزيز

الحمد لله الكريم المنان ذي الطول والفضل والإحسان والإنعام، الذي هدانا للإيمان، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن مما يحتاج إليه قارئ القرآن معرفة أحكام سجدة التلاوة، وسوف نتناول في هذا المقال باختصار خمسة مسائل تتعلق بها، وهي:

المسألة الأولى: تعريف سجدة التلاوة:

سجدة التلاوة لها تعريفان: الأول باعتبار مفرديها، والآخر تعريف لقبي.

أما التعريف باعتبار مفرديها: فكلمة: سجدة: اسم مرة من الفعل سجد، وصيغ على هيئة اسم المرة للدلالة على أن السجود حدث مرة واحدة.

والسجود لغة: الخضوع والتذلل، وسجد إذا طأطأ رأسه وانحنى.

والسجود اصطلاحًا: وضع الجبهة أو بعضها على الأرض أو ما اتصل بها من ثابت مستقر على هيئة مخصوصة.

والتلاوة: مصدر تلا يتلو، وهو بمعنى: الاتباع، يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن، لأنه يتبع آية بعد آية.

و«ال» في التلاوة هنا للعهد الذهني، فالمراد: تلاوة الآيات المخصوصة التي يشرع بعدها السجود.

وسجدة التلاوة لقبًا: سجدة - واحدة - يأتي بها القارئ للقرآن أو المستمع في مواضع مخصوصة، في الصلاة وخارجها.

المسألة الثانية: مواضع سجدة التلاوة:

اختلف أهل العلم في مواضع سجدات التلاوة في القرآن فأكثر ما قيل عند الجمهور: خمسة عشر سجدة، وقيل: ستة عشر سجدة،، تبدأ بأخر سورة الأعراف، وتنتهي بسورة العلق، واتفقوا من ذلك على عشرة مواضع.

قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ٣١): «اتفقوا أنه ليس في القرآن أكثر من خمس عشرة سجدة.

واتفقوا منها على عشر واختلفوا في: التي في «ص»، وفي الآخرة التي في «الحج»، وفي الثلاث اللواتي في «المفصل»».

والمواضع العشرة المتفق عليها هي:

١- سورة الأعراف: وهي آخر آية فيها: «وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ».

٢- سورة الرعد: عند قول الله تعالى: «وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» من الآية الخامسة عشرة.

٣- سورة النحل عند قول الله تعالى: «وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» من الآية الخمسين.

٤- سورة الإسراء: عند قول الله تعالى: «وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» من الآية التاسعة بعد المائة.

٥- سورة مريم: عند قول الله تعالى: «خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا» من الآية الثامنة والخمسين.

٦- سورة الحج: عند قول الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ» من الآية الثامنة عشرة.

٧- سورة النمل: عند قول الله تعالى: «رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ» من الآية السابعة والعشرين.

٨- سورة السجدة «الم تنزيل»... عند قول الله تعالى: «وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ» من الآية الخامسة عشرة.

٩- سورة الفرقان: عند قول الله تعالى: «وَزَادَهُمْ نُفُورًا» من الآية الستين.

١٠- سورة حم السجدة « فصلت ». عند قول الله تعالى: «وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ» من الآية الثامنة والثلاثين.

وأما المواضع الستة المختلف فيها فهي:

١ . سجدة الحج الثانية، عند قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ» (الحج: ٧٧)؛ ودليل السجود فيها حديث عقبة بن عامر قال: «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، في سورة الحج سجدتان؟

قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما» أخرجه أبو داود (١٤٠١)، وابن ماجه (١٠٥٧)، وقد حسنه النووي والمنذري، والألباني بشواهده.

والسجود فيها هو قول: عمر، وعلي، وعبد الله بن عمر، وأبي الدرداء، وأبي موسى رضي الله عنهم، وقد أخرج أحاديثهم الحاكم في المستدرك (٢/٤٣١)، والبيهقي (٢/٣١٧).

وهو قول أبي عبد الرحمن السلمي، وأبي العالية وزر بن حبيش، وهو مذهب الشافعية، والحنابلة.

قال ابن قدامة (١/٤٤٣): «لم نعرف لهم مخالفًا في عصرهم، فيكون إجماعًا.

٢ . سجدة «ص» عند قوله: «وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ» (ص: ٢٤).

والسجود فيها هو قول عثمان؛ فقد صلى عثمان رضي الله تعالى عنه وقرأ في الصلاة سورة «ص» وسجد وسجد الناس معه، وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولم يُنكر عليه أحد، ولو لم تكن السجدة واجبة لما جاز إدخالها في الصلاة.

والسجود فيها هو مذهب الحنفية، والمالكية، وعند الشافعية، والحنابلة هي سجدة شكر لا تلاوة، فليست من عزائم السجود.

٣ . سجدة الحجر عند قوله: « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ » (الحجر: ٩٨). السجود فيها قول أبي حذيفة ويمان بن رئاب خلافًا لجماهير العلماء.

٤ . سجدة سورة النجم عند قوله: « فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ » (النجم: ٦٢).

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم، فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد» أخرجه البخاري (١٠٧٠).

٥ . سجدة سورة الانشقاق عند قوله: « وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ » (الانشقاق: ٢١).

٦ . سجدة سورة العلق عند قوله: « كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب » (العلق: ١٩).

والسجود في الانشقاق والعلق دليله حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ»، و«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»» أخرجه مسلم (٥٧٨).

والسجود فيها هو مذهب جمهور أهل العلم، (ينظر: التوضيح، لابن الملقن (٨/٣٨٤)، والموسوعة الفقهية الكويتية ملخصًا (٢٤/٢١٦ وما بعدها)).

وسجدة التلاوة في هذه المواضع الخمسة عشر يجمعها بالاستقراء ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خبر عن أهل السجود من الصالحين ومدح لهم.

النوع الثاني: أمر بالسجود.

النوع الثالث: ذم على ترك السجود.

(ينظر: مجموع الفتاوى . جمع ابن القاسم . (٢٣/١٣٦)، وشرح مختصر القدوري، للجصاص (١/٧٣٠).)

المسألة الثالثة: حكم سجدة التلاوة:

اتفق أهل العلم على مشروعية سجدة التلاوة؛ لأدلة منها:

حديث ابن عمر، قال: «كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقرأ ونحن عنده؛ فيسجد ونسجد معه فنزدحم حتى ما يجد بعضنا لجبهته موضعا- في غير صلاة-». أخرجه البخاري (١٠٧٦)، ومسلم (١٠٣).

ثم اختلف أهل العلم في نوع الحكم التكليفي لسجدة التلاوة على مذهبين مشهورين:

الأول: القول بالوجوب، وهو مذهب الحنفية، وقد اختاره ابن تيمية، والوجوب عندهم على التالي، والسامع سواء قصد سماع القرآن أولم يقصد.

واستدلوا بأدلة منها:

١ . الأمر بالسجود عند هذه الآيات في نحو قوله: « فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ » (النجم: ٦٢)، وقوله: « كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب » (العلق: ١٩).

٢- للذم على ترك السجود في نحو قوله: « وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ » (الانشقاق: ٢١). (ينظر: مختصر القدوري (ص ٣٨)، والمبسوط، للسرخسي (٢/٤))

الثاني: القول بالاستحباب، وهو مذهب الجمهور، وهو الراجح إن شاء الله تعالى، وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

١. حديث زيد بن ثابت-رضي الله عنه- «أنه قرأ عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم- سورة النجم فلم يسجد فيها ولا أمره بالسجود» (أخرجه البخاري: ١٠٧٢، ١٠٧٣، ومسلم: ٥٧٧).

٢. حديث عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- «أنه قرأ على المنبر سورة السجدة فنزل وسجد، وسجد الناس معه، فلما كان في الجمعة الأخرى قرأها فتهيأ الناس للسجود فقال على رسلكم إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء» (الجامع لمسائل المدونة، لابن يونس (٢/٦٧٦)، والعزيز شرح الوجيز، للرافعي (٢/١٠٣)، والمغني (١/٤٤٦)).

المسألة الرابعة: أذكار سجدة التلاوة:

يقال في سجدة التلاوة ما يقال في سائر الصلاة فمما يقال:

١ . سبحان ربي الأعلى، كسائر الصلوات.

٢ . سَجَدَ وَجْهي للذي خَلَقَه وشَقَّ سَمعَه وبَصَرَه بحوله وقوَّته.

لحديث عائشة قالت: «كان رسولُ اللهِ- صلَّى الله عليه وسلم- يقول في سجود القرآن بالليل، يقول في السجدة مرارًا: سَجَدَ وَجْهي للذي خَلَقَه وشقَّ سَمعَه وبَصَرَه بحوله وقوَّته» أخرجه أبو داود (١٤١٤)، والترمذي (٥٨٧) و(٣٧٢٣)، والنسائي (١١٢٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٣. اللهمَّ اكتب لي بها عندك أجرًا، واجعلها لي عندك ذُخرًا، وضع عني بها وزرًا، واقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود.

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة، فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجرًا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود، قال الحسن: قال لي ابن جريج: قال لي جدك: قال ابن عباس: «فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة، ثم سجد»، فقال ابن عباس: فسمعته وهو «يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة» أخرجه الترمذي (٥٧٩)، وابن ماجه (١٠٥٣)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٤٧٠/٢٧١٠).

المسألة الخامسة: شروط سجدة التلاوة:

لسجدة التلاوة صورتان:

الأولى: أن تكون في الصلاة فلا خلاف بين أهل العلم أنه يشترط لها ما يشترط للصلاة.

الثانية: أن تكون خارج الصلاة فهذه الصورة اختلف أهل العلم فيها على قولين:

الأول: وهو مذهب الجمهور فيشترطون فيها ما يشترطون في الصلاة من: الطهارة من الحدثين، وطهارة الثياب والمكان، وستر العورة، واستقبال القبلة، قال في المغني (١/٤٤٤): «وجملة ذلك، أنه يشترط للسجود ما يشترط لصلاة النافلة؛ من الطهارتين من الحدث والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، والنية، ولا نعلم فيه خلافا، إلا ما روي عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- في الحائض تسمع السجدة، تومئ برأسها، وبه قال سعيد بن المسيب، قال، ويقول: اللهم لك سجدت.

وعن الشعبي فيمن سمع السجدة على غير وضوء يسجد حيث كان وجهه».

القول الآخر: أنه لا يُشترط لها شيء من شروط الصلاة؛ لأنه ليست صلاة، وهو مذهب ابن عمر فقد كان عبد الله بن عمر ينزل عن راحلته فيهريق الماء، ثم يركب فيقرأ السجدة فيسجد وما يتوضأ، وقد سبق مذهب عثمان، وابن المسيب، وهو الأشبه بمذهب البخاري فقد أخرج حديث ابن عمر محتجًا به، وهو مذهب الظاهري، وهذا المذهب أقوى، ومذهب الجمهور أحوط، والله أعلم.

هذا ما يسره الله في هذا المقام، والحمد لله رب العالمين.

الأمثال في القرآن

الحلقة الثالثة

مثل الرجلين: المؤمن والكافر صاحب الجنتين

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فهذه هي الحلقة الثالثة في هذا المَثَل «مثلين الرجلين المؤمن والكافر صاحب الجنتين»، وهو مضروب لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين الفقراء- وهو محكيٍ في اثني عشر آية من سورة الكهف كما ذكرنا سابقًا، وهي من قوله تعالى: «وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا» (الكهف:٣٢)، وهي في قوله تعالى: «هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا» (الكهف:٤٤).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن هذا الرجل الكافر الظالم لنفسه، الذي ضربه مثلاً مع الرجل المؤمن في هذه الآيات لرؤساء الكفار، الذين افتخروا بالمال والجاه على ضعفاء المسلمين الفقراء كما تقدم - أنه دخل جنته في حال كونه ظالماً لنفسه وقال: إنه ما يظن أن تهلك جنته ولا تفنى: لما رأى من حسنها ونضارتها؟ وقال: إنه لا يظن الساعة قائمة، وإنه إن قدر أنه يبعث ويرد إلى ربه ليجدن عنده خيرًا من الجنة التي أعطاه في الدنيا.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة: من جهل الكفار واغترارهم بمتاع الحياة الدنيا، وظنهم أن الآخرة كالدنيا ينعم عليهم فيها أيضًا بالمال والولد، كما أنعم عليهم في الدنيا - جاء مبيناً في آيات أخر، كقوله: في فصلت: «وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ» (فصلت: ٥٠)، وقوله: في مريم: «أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا» (مريم: ٧٧)، وقوله: في سبأ: «وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» (سبأ: ٣٥). وقوله: في هذه السورة الكريمة: «فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا» (الكهف: ٣٤). وبيَّن جل وعلا كذبهم واغترارهم فيما ادعوه: من أنهم يجدون نعمة الله في الآخرة». (أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي بتصرف).

قال أبو حيان في «البحر المحيط»: في قوله: «ودخل جنته» إخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد أن قصد في الإخبار أنه دخل إحدى جنتيه إذ لا يمكن أن يدخلهما معًا في وقت واحد،

والمعنى: ودخل جنته يرى صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن، وهو ظالم لنفسه جملة حالية: أي وهو كافر بنعمة ربه مغتر بما ملكه شاكٌ في نفاد ما خوَّله وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه. والظاهر: أن الإشارة بقوله: «هذه» إلى الجنة التي دخلها، وعني (بالأبد): أبد حياته وذلك لطول أمله وتمادي غفلته ولحسن قيامه عليها بما أوتي من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة، ثم أقسم على أنه إن رُدّ إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وقياس الأخرى على الدنيا وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرًا من جنته في الدنيا تطمعًا وتمنيًا على الله وادعاء لكرمته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه، وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله: «إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ» (فصلت:٥٠)، وهذا لا شك باطل وجهل من صاحب الجنتين الكافر واغترارٌ منه بمتاع الحياة الدنيا وظنه أن الآخرة كالدنيا ينعم فيها بالمال والولد، وهذا جهل واغترار، وقد قدمنا الأدلة التي استدل بها الشنقيطي على كلام صاحب الجنتين. انتهى بتصرف.

وقوله: «قال له صاحبه» حكاية أن المؤمن من الرجلين لما سمع كلام الكافر وقفه- على جهة التوبيخ- على كفره بالله تعالى، وقوله: «من تراب» إشارة إلى آدم عليه السلام، وقوله: «ثم سواك رجلاً» كما تقول: سواك شخصًا أو حيًّا أو نحو هذا من التأكيدات، والنطفة: ماء الرجل، مشتقة من النطف وهو السيلان، و«سواك» عدَّل خلقك أي جعله متناسبًا في الشكل والعمل وانما جعل كفره بالبعث كفرًا بالله؛ لأن منشأ الشك في كمال قدرة الله، فلذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب، وفي هذا تلويح بالدليل على البعث، وأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة، ولفظ: «لكنا» مركب من «لكن» بسكون النون الذي هو حرف استدراك، ومن ضمير المتكلم «أنا»، أصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة تخفيفًا كما قال الزجاج، أي على غير قياس لا لعلة تصريفية، ولذلك لم يكن للهمزة حكم الثابت فلم تمنع من الإدغام الذي يمنع منه ما هو محذوف لعلة بناء على أن المحذوف لعلة بمنزلة الثابت، ونقلت حركتها إلى نون «لكنْ» الساكنة دليلاً على المحذوف التقى نونان متحركتان فلزم إدغامهما فصار «لكنا» مقولة «لكنا هو الله ربي»، إقرار بتوحيد الله وأنه لا يشرك به غيره.

ثم نفى عن نفسه الشرك بالله تعالى، فقال: «وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا» (الكهف:٣٨) فيه إشارة إلى أن أخاه كان مشركًا. (البحر المحيط بتصرف).

وقوله تعالى: «وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ» (الكهف:٣٩) وصية من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيض بمعنى: هَلاَّ قلت عندما دخلتها: «مَا شَآءَ ٱللَّهُ» (الكهف:٣٩)، قال الفراء والزجاج: هلا قلت حين دخلتها الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان.

وقوله: «لا قوة إلا بالله» من جملة مقول، أي: هلا قلت هاتين الجملتين تحضيضًا له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من حسنها ونضارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته، وهذا نصح من المؤمن للكافر وتوبيخ له على قوله: «مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا» (الكهف:٣٥) قال الزجاج: لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا الله، ولا يكون إلا ما شاء الله.

ثم لما علمه الإيمان وتفويض الأمور إلى الله سبحانه أجابه عن افتخاره بالمال والنفر، فقال: «إِن تَرَنِ» (الكهف:٣٩) الرؤية علمية أو بصرية، «أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا» (الكهف:٣٩) أي: لأجل ذلك تكبرت وتعظمت عليَّ، «فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ» (الكهف:٤٠) أي: إن ترني أفقر منك فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة «خَيْرًا منْ جَنَّ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ تكَ» (الكهف:٤٠) في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما، وفي الأول يكون الكافر أشد غيظًا وحسرة، وهذا رجاء من المؤمن وقرع على مقالة الكافر الأولى.

«وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا» (الكهف:٤٠) أي: على جنتك «حسبانًا» هو مصدر بمعنى الحساب كالغفران أي مقدارًا قدره الله عليها أي يرسل عليها عذاب الحساب، وهو حساب ما كسبت يداك، وقال الأخفش: «حسبانًا» أي: مرامي، وقيل: نارًا، «من السماء»، «فتصبح صعيدًا زلقًا» مثل الجزر. قاله ابن عباس، أي فتصبح جنة الكافر بعد

إرسال الله سبحانه عليها حسبانًا أرضًا جراء ملساء لا نبات فيها ولا يثبت عليها قدم.

« أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا » (الكهف:٤١) أي: ذاهبًا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء ولا سبيل إليه، والغور الغائر، والمعنى أنها تصير عادمة للماء بعد أن كانت واجدة له وكان خلالها ذلك النهر يسيقها دائمًا.

«فلن تستطيع له طلبًا» أي: لن تستطيع لطلب الماء الغائر فضلاً عن وجوده ورده ولا تقدر عليه بحيلة من الحيل تدركه بها، وقيل: المعنى فلن تستطيع طلب غيره عوضًا عنه. (فتح البيان لصديق خان).

قوله تعالى: «وأحيط بثمره» هذا خبر من الله تعالى عن إحاطة العذاب بحال هذا الممثل به والإحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد.

«ويقلب كفيه» يريد: يضع بطنُ إحداهما على ظهر الأخرى، وكذلك فعْلُ المتلهف المتأسف على فائتٍ أو خسارة أو نحوهما.

وقوله: «وهي خاوية على عروشها» يريد أن السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها فهي خاوية والحيطان على العروش.

«ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا» و«ليتني» تمنٍّ مراد به التندم، وهذا ندم على الإشراك فيما مضى وهو يؤذن بأنه آمن بالله وحده حينئذ، وقوله: «ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله» موعظة وتنبيه على جزاء قوله: «وأعز نفرًا» والفئة: الجماعة، وجملة «ينصرون»: صفة، أي: لم تكن له فئة هذه صفتها فإن فئته لم تغن عنه من عذاب الله.

وقوله: «وما كان منتصرًا» أي: ولا يكون له انتصار وتخلص من العذاب. (انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، والتحرير والتنوير لابن عاشور، بتصرف).

«هنالك الولاية لله الحق» أي في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله، لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله وعلى هذا المعنى فالآية كقوله تعالى: « فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ » (غافر:٨٤)، ونحو ذلك.

هذا وجه- والوجه الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة كما في قوله تعالى: « ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ » (البقرة:٢٥٧)، وقوله: « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ » (محمد:١١)، وله على الكافرين ولاية الملك والقهر كما في قوله: « وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ » (يونس:٣٠)، وقوله: « يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ » (النور:٢٥) إلى غير ذلك من الآيات.

و«الحق» قرأه الجمهور بالجر، على أنه وصف لله تعالى كما وصف بذلك في قوله تعالى: « وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ » (يونس:٣٠)، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف: «الحق» بالرفع- صفة للولاية الحق- بمعنى الصدق لأن ولاية غيره كذب وباطل.

قوله: «هو خير» يجوز أن يكون بمعنى أخير فيكون التفضيل في الخيرية على ثواب غيره وعُقُب غيره، فإن ما يأتي من ثواب من غيره ومن عقبى إما زائف مفضٍ إلى خير، وإما زائل، وثواب الله خالص دائم وكذلك عقباه، ويجوز أن يكون «خير» اسمًا ضد الشر، أي هو الذي ثوابه وعُقُبه خير وما سواه فهو شر.

و«عُقُبًا» أي: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة. (أضواء البيان للشنقيطي، والتحرير والتنوير، والمحرر الوجيز بتصرف).

وبذلك نرى أن هذه القصة التي ضربها الله تعالى مثلاً للأخيار والأشرار قد بينت لنا بأسلوب بليغ أخاذ، صورة عاقبة الجاحدين المغرورين وحسن عاقبة الشاكرين المتواضعين، كما بينت لنا الآثار الطيبة التي تترتب على الإيمان والعمل الصالح والآثار السيئة التي يُفضي إليها الكفر وسوء العمل كما بينت لنا المتفرد بالولاية والقدرة هو الله عز وجل؛ فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، ولا مستحق للعبادة أحد سواه، ولا ثواب أفضل من ثوابه، ولا عاقبة لأوليائه خير من العاقبة التي يقدّرها لهم، هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أثر سلوكيات الأراذل في اندثار كثير من الفضائل

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد حث الإسلام أتباعه على كثير من الفضائل، ونهاهم عن كثير من الرذائل، وقد جمع الله- سبحانه وتعالى- أمهات الفضائل في نصف آية، وجمع رءوس الرذائل في النصف الآخر، فقال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ» (النحل: ٩٠)، فامتثل من عباده من امتثل، وأعرض منهم من أعرض، فارتكبوا الرذائل، التي تؤدي إلى اندثار الفضائل، ونستعرض في هذه المقالة بعض سلوكيات الأراذل المؤدية إلى اندثار الفضائل، وذلك على النحو التالي:

الوقفة الأولى: تعريف الأراذل، والفضائل:

أولا: تعريف الأراذل:

جاء في معجم المعاني الجامع: «أراذِلُ: (اسم)، أَراذِلُ: جمع أرذَل، أرذَل: (اسم) الجمع: أرذَلون و أَراذِلُ. الأرذَلُ: الدُّونُ الخسيسُ، أو الرديءُ من كلِّ شيءٍ، اسم تفضيل من رذُل: أكثر دناءة وخسَّة» اهـ.

وقد جاء الجمعان في القرآن الكريم، فجاء أراذل في قوله تعالى: «مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا» (هود: ٢٧)، وجاء أرذلون في قوله تعالى: «قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ» (الشعراء: ١١١)

الوقفة الثانية: سبب الكتابة في الموضوع:

الذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع سؤال سأله طفل صغير في الصف الثاني الابتدائي لأمه، يسألها فيه عن كيفية الإجابة عن سؤال في الامتحان يقول ماذا تفعل لو وجدت رجلاً كبيرًا طاعنًا في السن عاجزًا عن عبور الطريق؟ والإجابة عليه في الكتاب أن تأخذ بيده وتعبر به الطريق، فكانت

إجابة أمه «لا تفعل فلربما كان ممن يخطف الأطفال»، فسألها ببراءة «إذا أكتب هذه الإجابة»، فردت عليه «اكتب في الامتحان ما جاء بالكتاب، وافعل في الواقع ما أقول لك».

حينها أدركت كيف أثرت سلوكيات الأراذل في اندثار كثير من الفضائل، فأحببت أن أكتب هذه المقالة لعلها تدق ناقوس الخطر، وتحذر من هذه السلوكيات لتحيا الفضائل بيننا من جديد.

الوقفة الثالثة: بعض صور سلوكيات الأراذل:

تعددت سلوكيات الأراذل المؤدية إلى اندثار الفضائل، ونذكر منها السلوكيات الآتية:

أولا: فضيلة الاصطحاب في وسائل المواصلات:

من الفضائل التى أرشدنا إليها نبينا صلى الله عليه وسلم، فضيلة اصطحاب الناس في وسائل المواصلات، فالبعض منا يمتلك سيارة، أو دراجة بخارية، أو غيرها من وسائل المواصلات، وقد يسير بها وحيدًا فيجد أناسًا يقفون في قارعة الطريق في الحر القائظ، أو في المطر الشديد، فماذا يفعل معهم؟ حث الإسلام من كان عنده فضل ظهر، أن يحمل معه من لا ظهر له، وهذا وإن كان واردًا على الدواب قديمًا، إلا أنه يشمل جميع وسائل المواصلات الحديثة أيضًا، لقوله تعالى: « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (النحل: ٨) فالخيل والبغال والحمير خلقت للركوب والزينة، ويخلق مالا تعلمون من جنسها مما يخصص للركوب والزينة، من جميع وسائل المواصلات.

١- دليل الفضيلة:

قال علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح": (وعن أبي سعيد، رضي الله عنه، قال: بينما نحن): أي: معاشر الصحابة (في سفر مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذ جاء رجل): وفي نسخة صحيحة: إذ جاءه رجل (على راحلة): أي: ضعيفة (فجعل): أي: شرع وطفق (يضرب): أي: الراحلة (يمينًا وشمالاً): أي: بيمينه وشماله، أو يمينها وشمالها لعجزها عن السير، وقيل: يضرب عينيه إلى يمينه وشماله ; أي: يلتفت إليهما طالبا لما يقضي له حاجته. (فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: من كان معه فضل ظهر): أي: زيادة مركوب عن نفسه (فليعد به): أي: فليرفق به (على من لا ظهر له): ويحمله على ظهره؛ من عاد علينا بمعروف; أي: رفق بنا، كذا في أساس البلاغة (ومن كان له فضل زاد): أي: منه ومن دابته (فليعد به على من لا زاد له): أي: مقدار كفايته، ولعله- صلى الله عليه وسلم- اطلع على أنه تعبان من قلة الزاد; أيضًا، أو ذكره تتميمًا وقصدًا إلى الخير تعميمًا. قال المظهر: أي: طفق يمشي يمينًا وشمالاً. أي: يسقط من التعب إذ كانت راحلته ضعيفة لم يقدر أن يركبها فمشى راجلاً، ويحتمل أن تكون راحلته قوية إلا أنه قد حمل عليها زاده وأقمشته، ولم يقدر أن يركبها من ثقل حملها، فطلب له- صلى الله عليه وسلم- من الجيش فضل ظهر; أي: دابة زائدة على

حاجة صاحبها. قال الطيبي: في توجيهه إشكال؛ لأن على راحلته صفة رجل ; أي: راكب عليها، وقوله: " فجعل " عطف على " جاء " بحرف التعقيب، اللهم إلا أن يتمحل ويقال: إنه عطف على محذوف ; أي: فنزل فجعل يمشي.

أقول: الأظهر أن يقال التقدير حامل متاعه على راحلته، أو على بمعنى (مع) كقوله تعالى: «وآتى المال على حبه». قال الطيبي: الأوجه أن يقال: إن "يضرب" مجاز عن "يلتفت" لا عن "يمشي"، وهذا أيضًا يسقط الاحتمال الثاني الذي يأباه المقام، ويشهد له ما روي في صحيح مسلم. قال النووي: جاء رجل على راحلة فجعل يضرب بصره يمينًا وشمالاً، هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها يصرف يمينًا وشمالاً، وليس فيها ذكر بصره، وفي بعضها يضرب بالضاد المعجمة، والمعنى يصرف بصره متعرضًا بشيء يدفع به حاجته، وفيه حث على الصدقة والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالحهم والسعي في قضاء حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء، وتعريضه من غير سؤال، وإن كان له راحلة وعليه ثياب، أو كان موسرًا في وطنه، فيعطى من الزكاة في هذا الحال، والله أعلم». اهـ.

٢- سلوكيات الأراذل:

وبالرغم من حث الإسلام على هذه الفضيلة، إلا أن سلوكيات كثير من الأراذل أوشكت على اندثارها، ومن هذه السلوكيات، الآتي:

أ - التثبيت، والاستيلاء على وسيلة النقل:

فبعض الأراذل قد تفتق ذهنهم عن حيل دنيئة تتمثل في الآتي:

استيقاف صاحب السيارة بزعم توصيل مريض أو مريضة إلى المستشفى، وحال ركوبهم معه، يقومون بوضع السلاح على رقبته أو في وجهه، والاستيلاء على السيارة، وقد يصل الحال بهم إلى قتله لو حاول مقاومتهم. إيقاف فتاة في الطرق الصحراوية ليلاً، أو في منطقة نائية نهارًا، واختباء بعض الرجال، وتشير الفتاة إلى السيارات المارة في الطريق، فيتعاطف معها أحد المارة بسيارته، فيقف ليحملها، فيقوم الرجال بفتح أبواب السيارة، والركوب بها عنوة، والاستيلاء على السيارة. قيام أحد الأراذل بالإشارة إلى أصحاب السيارات لاصطحابه معه، وحال ركوبه يعرض على صاحب السيارة طعامًا، أو شرابًا به مخدر، ويقوم بالاستيلاء على السيارة، بعد غيابه عن وعيه.

ب- سرقة المتعلقات الشخصية:

وبعض الأراذل يشير إلى السيارات المارة لحمله، وحال ركوبه السيارة يغافل قائدها، ويسرق هاتفه المحمول، أو يسرق أغراضه الشخصية.

ج- حمل وإخفاء الممنوعات:

وبعض الأراذل يشير للسيارات المارة لتوصيله، ويحمل معه ممنوعات، كالمخدرات، فتكون النتيجة القبض على صاحب السيارة، ومصادرتها. ومع انتشار هذه السلوكيات المشينة، والمجرمة، عزف كثير من أصحاب السيارات عن الوقوف للمحتاجين في الطرقات، وحملهم في سياراتهم، خوفًا عليها، وعلى أرواحهم، وممتلكاتهم، فكادت تلك الفضيلة أن تندثر، بسبب فعل هؤلاء الأراذل.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. بتكاليف بسيطة

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
حاصلة على شهادة
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
☎ 01284447778
01128911113

(+2) 01067717725

Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر